شرفات

العدد - (23)
ديسمبر 2025 م
جمادى الآخرة 1447هـ

ملحق شهري يصدر عن مجلة «اليمامة» يُعنى بالشؤون الثقافية والأدبية.

الإذاعة والثقافة..
رحلة أم توقُّف ؟

سعيد السريحي:
ملف خاص .

إبراهيم الحسين:
«قلب أبو سليمان وقَّادي».

د.مستورة العرابي:
ما تبقى للشاعر من غرناطة.

محتويات شرفات
إشراف: عبدالعزيز الخزام
العدد (23) - ديسمبر 2025 م - جمادى الآخرة 1447هـ

34
الاذاعة السعودية في مفترق الطرق.

63
د. حسن النعمي: عندما كانت الحياة أبيض وأسود.

61
عبده خال يقدم موهبة جديدة للساحة: عمر محمود الحسين.

35
خالد اليوسف يكتب حكاية معجم الأدباء السعوديين.

56
امل الحسين: العامية السعودية في زمن الذكاء الاصطناعي.

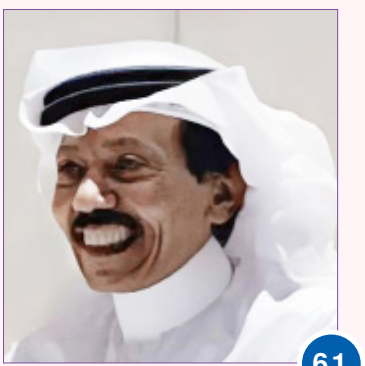

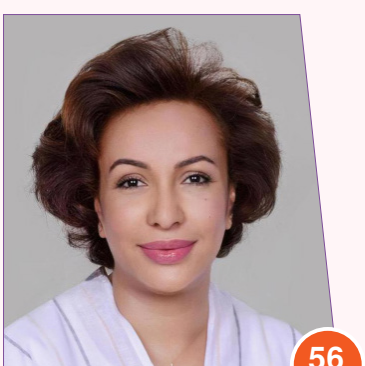

أما قبل

عبدالعزيز الخزام

القيم التي تبقى..

قبيل إصابته بعدة أسابيع قلت للدكتور سعيد السريحي شفاه اللّه: لقد التقيتك في كل مكان وجريدة: جدة، الرياض، حائل، الطائف، فرسان، الشرقية... وفي البلاد، وعكاظ، والشرق، ولم يتبق سوى "اليمامة".

فأجاب بطريقته الحاسمة التي اعتدناها: «تم».

واتفقنا على إجراء "حوار العمر"، نقول فيه الاعترافات المؤجلة ونتتبّع مسيرة الحياة الحافلة، لكن إصابته المفاجئة أجلت المشروع إلى وقت نأمل أن يكون قريبا.

ويوم بلغنا الخبر المؤلم، كان المشرف على تحرير هذه المجلة يوجه – بالروح الحاسمة ذاتها – أن يكون ملف هذا الشهر عن الدكتور السريحي، تقديرا لتجربته ودوره، وتلويحة محبة له وهو يمر بهذا الظرف الصعب.

ونعترف بأن هذا الملف لا يمكن ان يحيط بتجربته الواسعة وسيظل مقاطع غير تامة. إنه ومضات تحاول إضاءة بعض زوايا عالم شخصية شديدة الثراء كانت على مدى عقود ظاهرة في عصرها، ولا تزال تلهم الكثيرين اليوم.

وبالطبع، فإن ملفا يحمل اسم الدكتور سعيد السريحي، الذي تعلمنا منه الكثير من القيم في الصحافة والثقافة، لا يمكن أن يكون عملا إنشائيا أو مجرد رسائل وجدانية، على الرغم من أهمية البعد الإنساني في مثل هذه اللحظات. ولذلك فإننا نزعم أن ما نقدّمه هنا يتجاوز التغطية، ويضيف إلى واجب الوفاء محاولة لتكريس القيم الجادة التي كان السريحي نفسه يدعو إليها، ليكون عملا مهنيا نحيّي به معلما كان واحدا ممن أخذنا عنهم أصول المهنة، وعلّمنا كيف يمكن للصحافي أن يتجمّل بعمله المهني، وكيف يصبح العمل الصحفي جمالا يضاف إلى الإنسان، وقيمة حقيقية تثري ساحات الوطن.

aalkhuzam@yamamahmag.com

44

عبدالمحسن يوسف: سرب طويل من الضوء.

33

محمد عابس .. شهادة من قلب التجربة.

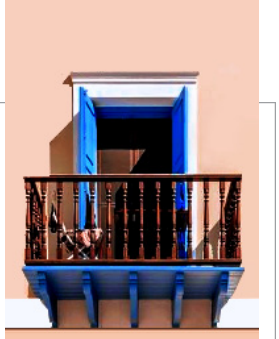

الحدث

شهادات من قلب التجربة عن غياب دورها الثقافي..

الإذاعــة السعوديــة فــي مفتـرق الطـرق.

اليمامة- خاص

من بين الوسائط التي عرفها الإعلام السعودي، ظلّت الإذاعة الأقرب إلى الناس، والأقدر على ملامسة تفاصيلهم اليومية. لم تكن مجرد وسيلة للبث، بل سجلاً حيًا لحياة مجتمعٍ يتغيّر، وثقافةٍ تنمو، وأصواتٍ حملت عبر الأثير ملامح الوطن وملامح الإنسان.

لكن تلك الذاكرة الصوتية التي صنعت وجدان أجيالٍ من المستمعين، تعاني اليوم حالة من الخفوت، بعد أن تراجعت مكانة الإذاعة الرسمية وتقلّص حضورها أمامَ الوسائط الجديدة، بل غابت عنها الدراما، وتوارت البرامج الثقافية التي ميّزت تاريخها.

واليوم، مع القيادة الجديدة لهيئة الإذاعة والتلفزيون، تتجه الأنظار إلى «الإذاعة السعودية» مجددًا، بحثًا عن تجديد هويتها واستعادة دورها الريادي في نشر الثقافة والفكر والفنون.

وفي هذا التحقيق، تستمع اليمامة إلى صوتين من جيلٍ إذاعيٍّ أصيل، شاركا في صناعة مجد الأثير السعودي، ليقدّما رؤيتهما حول ما أصاب الإذاعة من تراجع، وما الذي يمكن أن يعيدها إلى موقعها الطبيعي في المشهد الإعلامي والثقافي.

ما الذي أضعف الإذاعة السعودية بعد عقودٍ من الريادة؟ وكيف يمكن أن تستعيد حضورها وتأثيرها في زمنٍ تتغيّر فيه الوسائل وتتجدّد فيه الرسائل.

إعادة الروح إلى الإذاعة السعودية.. مهمة القيادة الجديدة.

لاشك أن الإذاعة السعودية كانت منبرًا مهمًا لدعم أدب وثقافة وفنون وتراث المملكة منذ تأسيسها وعلى مدى عقود من الزمن كانت صوتنا محليًا ودوليًا أبرزت خلاله الإبداعات السعودية شعرًا وقصة وفكرًا وعلمًا وثقافة وموسيقى وغناء ودراما بالفصحى واللهجة ومسرحًا وتراثًا وفلكلورا من مناطق المملكة المختلفة.

محمد عابس*

ولكن الإذاعة تعرضت للتهميش من الوزارة ثم من الهيئة شيئًا فشيئا منذ انطلاق التلفزيون إلى أن وصل ذلك إلى ذروته العقدين الماضيين لأسباب عديدة منها:

*ضعف الدعم المالي للإنتاج الإذاعي برامجيًا ودراميًا .

*تقاعد المذيعين والمعدين والمحررين.

*الاستغناء عن المذيعين المتعاونين.

*عدم استقطاب كفاءات جديدة متميزة.

*ضعف الإعداد.

*التركيز على برامج الهواء الجماهيرية المفتوحة.

*عدم استقطاب المعدين ذوي الكفاءة من خارج الإذاعة.

*ضعف لغة وثقافة معظم المذيعين.

وأسباب أخرى إدارية وفنية وإعلامية.

ولكي تعود الإذاعة للقيام بأدوارها المختلفة لمواكبة التطور الإعلامي ورؤية المملكة 2030 لابد من

إعادة النظر في وضع الإذاعة ورسم سياسة جديدة مدعومة ماليًا وإداريًا وبشريًا، وأن يتم استقطاب الكفاءات المتميزة من خارج الاذاعة في مجالات الادب والثقافة والفنون لإعداد البرامج بمكافآت مغرية. أن يتم الاستعانة بالمذيعين المتميزين المتقاعدين والقادرين على العمل بمكافآت جيدة، والبحث عن الاصوات الجيدة والمتمكنة لغويًا من خريجي الجامعات السعودية للعمل الاذاعي بعد تدريبهم. ودعم الدراما الإذاعية وتمويلها بالشكل المناسب. دعم المواهب والمبدعين الشباب في الادب والفنون المختلفة من خلال مسرح الاذاعة ويمكن أن يتنقل في مناطق المملكة.

عمل اتفاقيات شـراكة مع هيئات وزارة الثقافة المختلفة. تفعيل التعاون مع المؤسسات والجمعيات والنوادي الاهلية المهتمة بالأدب والثقافة والإعلام والفنون. الاستفادة من الارشيف الضخم في الاذاعة بالأشكال الإذاعية الممكنة.

ولعل تكليف الأستاذ علي الزيد برئاسة هيئة الإذاعة والتلفزيون يحرك الساكن ويعيد للإذاعة أهميتها وأدوارها الرائدة في خدمة الأدب والثقافة والفنون.

*مستشار ثقافي واعلامي

الإذاعة غيرت هويتها وتخلت عن مستمعيها!

محمد الراعي*

أتيح للاذاعة في تاريخها مالم يتح لغيرها، حيث لها السبق في رصد الكثير من جوانـب حياتنا باحداثها الثقافية والاجتماعيـة والتنموية وفـي كل المجالات من خلال رصد او تغطيات أو لقـاءات مع الاعلام الذين تحدثوا في تلك الايام عن رؤى وطموحات وآراء... بعضها تغير وبعضها تكرس، وما يجمعها ان تلك المواد الاذاعية جديرة بالحفظ وإعادة اذاعتها خصوصاً الثقافية والفنية منها ولقاءات مع أعلام تلك الفترة.

وعندما تغيرت حياتنا تغيرت الاذاعة مع تلك المتغيرات ولـم تكن فقط التسـجيل والتوثيق بل كانت التعليم والترفيه والتثقيف والتوعية، بـل وايصال التعليمات والتوصيات، عبر الاثير.

المجتمع يكن الكثير من المحبة والتقدير لتلك الوسيلة الاعلامية التي كانت تصاحبه في الصباح والمساء.. في البيت والمكتب والمقاهي والمحلات التجارية، بل في الحقـل والخيمـة والقرية والهجرة. هـذا لعامة أفراد المجتمع، اما المثقفون وصفوة المجتمع فكانت تلبي شغفهم بالمعرفة واشاعة الثقافة والأدب ، والمعرفة بالصحة والوقاية وما إلي ذلك.

عقود مرت على الاذاعة وهي في صدر المشهد اعلامياً وثقافياً واجتماعياً.

وقد صمدت الاذاعة وبقيت وسيلة سهلة واقتصادية ومتاحـة في كل وقت وفي كل مكان ولم تتراجع بحد ذاتها طيلة عقود طوال مرت عليها رغم ظهور البدائل والتنافس القوي.

لكنها في السـنوات الاخيرة تراجعت،، ليس فقط من طبائع الأمور والتطورات، ولكن بسبب اهمالها وعدم تقديم الدعم اليسـير الذي لا تحتاج لأكثر منه لتستمر وسيلة حية.

صحيـح ان الاذاعـة اليـوم ليسـت مثل الأمـس ولن تكـون، ولكن الأصح ان تراجعها الطبيعي ليس بهذا القدر الذي نشـهده اليـوم. إن التهميش الذي تعانيه الاذاعـة وقلة الدعم جعل التراجع أضعاف ما كان طبيعياً.

لقـد اختفـت الدراما الاذاعية في أوجه عطائها، وتم تهميش مكتبة الاذاعة من جدول البث اليومي في هيكل البرامج، وكأن اذاعة أغنية قديمة تخالج الوجدان شئ من الرجعية أو التأخر.

الاذاعة وسيلة اقتصادية لا تتطلب ضخ الكثير من الأموال.. ونتاجها عظيم أضعاف ما يصرف عليها.

إنني وغيري كثيرون من أبناء المجتمع، نتطلع إلى مبادرة من رئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون،الذي عايش وعاصر وتنقل بين أكثر من وسـيلة اعلامية، بأن يلتفت إلى الاذاعة الرسمية التي فقدت هويتها، وأصبحت بعض قنواتها تقليداً ممسوخاً للاذاعات الخاصة.

هاهـي إذاعـة القـرآن الكريـم الآن فـي أوج تألقها وشعبيتها،بينما غيرها يواجه انحساراً رغم الانفتاح!

وفي ذلـك دليل على أن المتلقي لم يترك الاذاعة بل هي التي غيرت هويتها وضحت بمسـتمعها التقليدي من أجل متابع مجهول.

اعيدوا للإذاعة شيئاً من رونقها، فهي تاريخنا المسموع ورفيق تنمية بلادنا، بشئ من الاهتمام، وشئ من الدعم وبسواعد الشباب ، سيعود اثيرنا إلى التألق.

*اعلامي، وخبير إذاعي

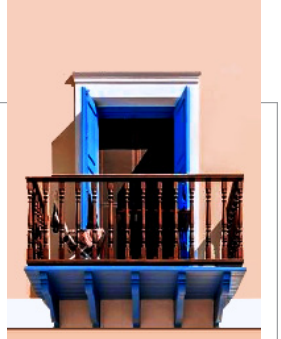

الحدث

بين صرحين إعلاميين ..مسيرة وعطاء..

أوراق من زمن النهضة الإذاعية.

محمد علي قدس

1) مبنى المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، أول ما دخلته في زيارة لمجموعة الصحافة والإذاعة في مدرسة الفاروق المتوسطة، وحضرنا تسجيل حلقة من برنامج الأطفال بابا عباس، اعتدت الدخول لهذا المبنى وقد وجدت بغيتي وما يشبع عطشي القرائي في مكتبة الإذاعة العامة، وشاءت الأقدار أن ألتقي في آخر العهد بهذا المبنى قبل سفري للدراسة بالأستاذ حسين القاضي رئيس تحرير مجلة الإذاعة الذي نشر لي أول قصة كتبتها وكانت بعنوان (بائعة القطائف) نشرت عام 1385.

2) أما مبنى وزارة لإعلام القديم الذي افتتحه المغفور له بإذن الله الملك فيصل في أواخر الستينيات الميلادية، والذي تمت إزالته قبل سنوات، فقد شهد نهضة إذاعة جدة وبدايات التلفزيون، ودخلت من بوابته للعمل الإذاعي معدا للبرامج الثقافية وسهراته ومسلسلاته وسباعياته الدرامية:

المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر

* أول دراما إذاعية: (عندما يعود الحب)، بطولة محمد حمزة، مريم الغامدي ومشاركة الممثلين الشريف العرضاوي، فتحية بخاري، ناجي طنطاوي وعبد الستار صبيحي إخراج أحمد شوقي.
* أول برنامج ثقافي (النادي الأدبي) وكان يعده ويقدمه قبلي الأستاذ مطلق الذيابي. وقمت بإعداده وقام بتقديمه سامي عنبر وإيمان السقاف، وقد استمر ثماني دورات إذاعية.
* أول مسلسل درامي: دراما رمضانية(تمرة وجمرة) بطولة عبد الستار صبيحي، نعيمة الحميدي، جواهر بنا، ناجي طنطاوي، محمد بخش، عبد الله الصايغ، حوا محمد.
* أول مسابقة رمضانية (من هو) تقديم شيرين شحاته وحسن مدير إشراف الأستاذ بدر كريم.
* أول برنامج درامي ثقافي (قصة من الأدب السعودي) كان يجمع بين المعلومة الأدبية والنص الدرامي تم خلاله تحويل أكثر من ٩٠ نص قصصي لأدباء سعوديين شارك في نصه التمثيلي معظم ممثلي وممثلات القسم الدرامي بالإذاعة استمر البرنامج لعشر دورات إذاعية.
* أول دراما تاريخية (بديع الزمان في رمضان) مسلسل رمضاني استعرض المقامات البديعية في حكايات من التاريخ، شارك فيه ممثلي وممثلات دراما الإذاعة.
* أول برنامج رمضاني حواري كان من إعدادي وتقديمي (حوار صريح) استضفت فيه الإعلاميين والأدباء في حوار لا تتقصه والصراحة وكان من أبرز الضيوف الاساتذة/ محمد عبده يماني/ محمد حسين زيدان/ عبد الله مناع/ حسن قزاز/ عزيز ضياء/ عبد الفتاح أبومدين، محمود عارف وعبد الله الراجح. وفي نسخة جديدة في دورة رمضانية نفس الحوار كان من إعدادي وتقديم عبده قزان رحمه الله.

وأذكر أني في بداية تواصلي مع المسؤولين في الإعلام في هذا المبنى تواصلت مع الاستاذ عزت مفتي مدير قسم الصحافة والإعلام الداخلي حيث حصلت على أول بطاقة صحفية رسمية تحولني الدخول للمبنى والحصول على الاخبار والصور من ادارة الصحافة النشر...

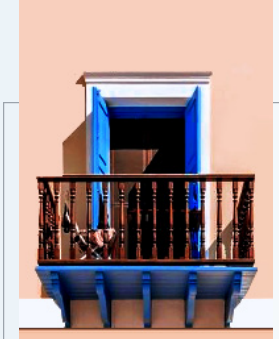

مقـــال

حكاية "معجم الأدباء السعوديين".

خالد اليوسف

كتاب تراجم وسير متخصص بالأدباء السعوديين، يُعنى بكل أديب له نتاج مطبوع في مجالات الإبداع الأدبي، أو أديب له نتاج منشور في جميع الوسائط المقروءة، ويشهد عليه ما أنتجه والوسط الأدبي والثقافي، وليس له كتاب مطبوع، وكذلك من درس أو كتب او أرخ للأدب السعودي وهو بطبعه الإلمام بالأدب السعودي.

وهو كتاب يترجم لكل الأدباء الذين شهدوا وعاشوا بدايات المملكة العربية السعودية، وهم سعوديون، وتتفق المراجع على ذلك.

وهو مشروع وضعت مخططه ليكون شاملا محيطاً لكل الأدباء، ولم يهمل أحداً إلا من رضي بذلك، ويتحمل هو مسؤولية عدم وجوده في الكتاب.

البداية

في عام 1412هـ/1992م كلفت آنذاك لتطوير كتاب: دليل الكاتب السعودي، وبعد ثلاث سنوات من العمل الحثيث صدر كتابي: دليل الكتاب والكاتبات، وهو كتاب تراجم وسير للأحياء الذين لهم كيان ووجود في الكتابة الأدبية والثقافية، وبفضل الله اعتبر المرجع الأول لكل من يبحث في هذا المجال، وبعده بخمسة عشر سنة أصدرت كتاب أنطولوجيا القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، وهو بالإضافة إلى أنه متخصص في القصة القصيرة: نصوصا متميزة، هناك السير والترجمة الجديدة والمركزة عن كل كاتب مشارك.

وبعد اطلاعي على عشرات الكتب التي صدرت في هذا المجال، وجدت ضرورة أن أضع معجماً شاملا لكل الأدباء السعوديين، لأن بعضها خاص بأدباء منطقة واحدة، وجاء فيها المجاملة وعدم التوازن في الترجمة، وهناك من أهمل الكثير والكثير من الأدباء، وهناك من تخصص في مجال أدبي معين، ومن هنا سعيت لوضع هذا المعجم منذ عام 1435هـ/ 2014م.

الانطلاقة

كونت قاعدة لهذا المعجم، أن يكون متوازناً، منصفاً، لايحمل أي كلمة إطراء أو مدح أو ثناء، لاتفاضل فيه ورفع شخصية دون شخصية أخرى، الكل في مرتبة واحدة هي الأدب، ولهذا تم ترتيبه هجائياً باسم العائلة الأصلي، وهناك مدخل آخر باسم الشهرة، وفرضت على كل مشارك أن تتكون معلوماته هي الأتية:

الاسم الرباعي، أسم الشهرة، مكان الميلاد وتاريخه، آخر شهادة علمية يرغب ذكرها وتخصصها ومن أي جامعة وتاريخ التخرج، وصف الأديب وصفاته الأدبية وبعض نشاطه البارز في حدود أربعة أسطر، ذكر ستة كتب من مؤلفاته لمن تزيد عن ذلك مع ذكر نوعها وتاريخ الصدور، هذه هي المعلومات المهمة بصفته الأدبية، وهي لاتتجاوز لكل شخصية سبعين كلمة.

المعاناة

هناك مئات الأدباء الذين لهم اصدارات أدبية، وليس لهم اهتمام بوضع سيرة لهم في كتبهم او في أي مكان مرجعي عنهم، وهم من ارهقت منهم، ومن التواصل معهم، أو مع معلوماتهم الغائبة، ولهذا مع البحث بدأت أجمع معلومة معلومة وأدونها حتى تكتمل وتتكون سيرهم الكاملة، وأتمنى ألا تطول وانتهي قريباً، لكن بدأت تبرز لي الحالات المرضية لدى فئة قليلة وهي الإحباط، والانتقاص من أهمية هذا الكتاب! بل كيف تُطلق عليه كلمة معجم وهي كبيرة عليه؟ بل هناك أسئلة من أنت لتضع كتاباً كاملاً عن أدباء المملكة العربية السعودية؟ وهي ليست غريبة فقد مررت بها في جميع كتبي المرجعية السابقة، ولم ولن ألتفت إليها مهما كانت، وسوف أواصل بحول الله حتى يرى الكتاب النور.

تفاصيل المعجم

يتكون هذا المعجم من مقدمة تفصيلية، فيها جميع المعلومات المتعلقة بمحتواه، وتاريخ كتب التراجم والسير لدينا، ومسيرتي معه، ثم كشاف الأسماء للأدباء والأديبات، وقد وضع الكشاف بحسب اسم الشهرة وامام كل اسم الرقم التسلسلي لكي يتم الوصول إليه بيسر وسهولة، ثم السير والتراجم، ثم المراجع والمصادر، علمًا أني لم أترك كتابًا أدبيًا سعوديًا إلا ورجعت إليه، والصحافة بكل أنواعها، بخلاف الاتصال المباشر مع الأدباء.

الطباعة والنشر

صدر هذا المعجم عن مؤسسة الانتشار العربي في بيروت والشارقة، في عام 1447هـ/ 2025م، وجاء في 720 صفحة، مجلدًا تجليدًا فاخرًا، وقد غطى مئة وخمسين سنة، ووصل عدد السير والتراجم إلى 1544 أديبًا وأديبة.

الملف

أنس الدريني يستخرج ما «بين الأقواس» ويكشف أسرارا جديدة من حياة الناقد الكبير شفاه الله..

سعيد السريحي: قلب الشجي لا تخلّونه!

ساهم في الملف: علي مكي، أنس الدريني

لطالما كان الكاتب والناقد الدكتور سعيد السريحي أحد العلامات الفارقة في المشهد الثقافي السعودي. فعلى مدى عقود، قدّم إسهامات راسخة في الأكاديميا والنقد والشعر والكتابة والعمل الصحفي، إضافة إلى حضوره في المجال الإداري الثقافي، كان آخرها انتخابه مؤخرًا رئيسًا لمجلس إدارة جمعية الأدب المهنية.

وفي هذا الملف، الذي نخصّصه للدكتور سعيد السريحي تقديرًا لمسيرته وإسهامه الحيوي في الثقافة السعودية، وتحية له وهو يمرّ بأزمة صحية نسأل الله تعالى أن يلطف به فيها وأن يمنّ عليه بالشفاء والعافية، نقدّم شهادات ورسائل من كتّاب وتلاميذ ورفاق درب وأبناء. كما نقدّم هذا الحوار المطوّل الذي يكشف فيه السريحي للمرة الأولى جوانب غير معروفة من سيرته وتجربته الثقافية.

وقد استطاع محاوره، الإعلامي، المهندس أنس الدريني، أحد أبناء الرويس، بحرفيّته وقراءته لمسار السريحي الثقافي والانساني، أن يستخرج من الناقد الكبير ما لم يستخرجه غيره من شهادات واعترافات تتراوح ما بين التجربة الشخصية والسياق الثقافي الأوسع.

الحوار ثري بالتفاصيل التي تكشف عن حياة السريحي في (حي "الرويس" بجدة) وتكشف ملامح البيئة الأولى التي صاغت وعيه. وفيه يعيد للأذهان حكايتين نادرتين عن امرأتين من أهالي الرويس، ويحكي قصة عايد الرفاعي (مكتبته الأولى) وعلاقته بأستاذه ومكتشفه المذيع الراحل عبيدالله أبو زاهرة، كما يستعيد كلمته التي ألقاها أمام أمير منطقة مكة آنذاك الأمير مشعل بن عبدالعزيز بمناسبة مبايعة الملك فيصل ملكا للمملكة .

ويفاجئ السريحي القارئ بإزاحة الستار عن جانبٍ غير معروف في مسيرته: تجربته الإذاعية المبكرة، وتدريبه على يد المخرج الشهير سعيد الهندي رحمه الله. كما يستعيد اللحظة المهيبة التي واجه (والده) فيها الموت بثبات لا يرفّ له جفن.

حكاية الرويس

الحديث عن حيّ الرويس هو حديث عن مكانٍ توافدت القبائل إليه من ينبع ومن ثول ومن رابغ وغيرها، لكن ظلّت إشكاليّة الهوية تؤرّق "سعيد الفتى" في ذلك الزمان. كنتَ دائمًا تقول: "نحنُ عشنا بين بداوةٍ تموت...

وحضارةٍ لم تولد بعد.“ وكأنك تشير إلى أن الرويس كان على الهامش؟

-الرويس كان على هامشين: هامش المدينة من حيث الموقع، وهامش المدينة من حيث الثقافة. وكان كذلك على هامش البادية من حيث الموقع ومن حيث الثقافة أيضًا.

كأنما هو سقط بين كرسيين: لم يعد ساكنوه هم كما كانوا بدوًا، ولم يصبح ساكنوه كما كان ينبغي لهم — وقد اقتربوا من المدينة — أن يصبحوا حضرًا.

لم يكونوا بدوًا، فالبدو يعتبرونهم قد "تَحضّروا"، ولم يكونوا حضرًا، فالحضر لا يزالون ينظرون إليهم على أنهم بدو.

كنّا في هذه المرحلة المتوسّطة بين هويتين. كانت تتنازعنا هويتان: هوية البدو الذي يكمن في دواخلنا، الهوية التي ننتمي اليها بحكم قدوم آبائنا من البادية، وهوية المدينة بحكم أننا بدأنا ننخرط إلى نموذج الحياة المدنية وإن كان على استحياء. نرتاد المدارس — وهي نوع من تطويع البدويّة للحياة المدنية — ونرى السيارات، ونعرف كيف نجوب الشوارع، ونركب الدراجات. وهذه من عوالم الحياة المدنية التي دخلناها... ولكننا دخلناها ولا زلنا نحمل في داخلنا ذلك "العِرق" البدوي.

الحديث عن الرويس — المكان — حديث عن تضاريس تشكّلت من تأثير البحر، وبالتالي لدينا الرويس الفوقاني، والرويس الآخر الجنوبي — الذي يُعتقد أنه أصلًا ليس بلاً مسمّى —. نريد أن تصف لنا جغرافيا، "الرُويس".

- نبدأ من الاسم: كلمة "الرُويس" أيضًا تتنابها ثنائية البر والبحر؛ تمامًا كأهل الرويس حينما تتنابهم ثنائية البداوة والحضارة.و"الرُويس" كمسمّى... هو رأس من البحر دخل إلى البر. إذن هناك برّ وبحر منح — أو تواطأ على منح — المكان تسميته. وهو رويس لأن"ثمّة رأس كبير" على بعد أمتار من الرويس. الرويس هو هذا الرأس الذي لا يزال موجودًا — بقايا منه — بعد الدفن، يقع قرب مبنى أمانة جدة الآن.

هذا الرأس الصغير يقابله شمالًا رأس "القحاز" — الموجود أمام قصر الحمراء. إذن: هو "رُويس" حينما ارتحل بعض سكّان المناطق والقرى الساحلية شمال جدة — وأعني بهم أهل ذهبان وثول على التحديد — سكنوا هذا المكان؛ فسكنوا بقرب الرويس الصغير هذا.ولكن الهجرات ظلّت مستمرّة. كما هاجر أولئك الذين كانوا ينتمون إلى قرى حاضرة البحر، فقد هاجر آخرون ينتمون إلى الأودية الزراعية؛ وعلى نحو التحديد وادي ينبع النخل. حينما جاء أولئك الذين لا ينتمون إلى البحر لم يسكنوا بجوار البحر؛ نزلوا على منطقة شرق الرويس — نزلوا فيها — فأصبح اسمها "النُّزُلة". وكانت "النزلة" تُطلَق عند أهل ينبع النخل على المكان الذي ينزل فيه الناس. وسُمّيت مثلها بنفس الطريقة حينما نزلوا مكانًا آخر شرق جدة؛ سُمّي المكان "النُّزُلة"، وميّزوا

* كنا نراهن على وطن منفتح، وها نحن نعيش هذه الحقبة في وطننا.

* اتهمت بالشعبوية بسبب كتاب «حجاب العادة»

* أهل الرويس صنعوا من «القص» حياة موازية ولو لم يحكوا لماتوا

* عبيدالله أبوزاهرة علمني كيف يمكن أن تكون اللغة جمالًا يُضاف إلى الإنسان

* والدي رحمه الله واجه السرطان بشجاعة.. والطبيب المعالج قال لي: هذا الشايب يملك جبروتا عجيبا

بين النزلة اليمانية والنزلة الشرقية. المسمى ينبعاوي بحت. نشأ في هذه المنطقة مجمّعان سكنيان: أحدها الرويس، والآخر "النزلة".ثم طغى اسم الرويس على المكانين، وأصبح يُسمّى: الرويس التحتاني (ويقصد به الرويس)، والرويس الفوقاني (ويقصد به النزلة). فأصبح كلاهما "الرُويس". أصبح رويسين. ولذلك تأتي "الكسرة" القديمة:

(مَرْكَب عِرض لي وأنا شفته
بين "الرُويسَين" (متقرّب)
(والحاية أزيب مناكفته
بالحيل بالجوش متقلّب)

ثم نشأت بين هذين الرويسين أحياء أخرى — أو حارات أخرى — حارة الطائف. وكانت في مرتفعٍ من الأرض يفصل بين النزلة والرويس.ونشأ في منطقة منخفضة من نفس المنطقة حيٌّ يسمّى — لانخفاضه — "الحفِيرة"، وسكنه أيضًا آخرون: شاطروا أهل الرويس في مجمله. ثم تكاثر أهل الرويس وأصبحت هناك أحياء أو حارات أخرى: حارة الشُّرُوق، حارة الينبعاوية، وحارة الصماعنة، وما إلى ذلك. هذا هو الرويس الذي وردته بحاراته الأربعة المميّزة... البحّارة وكان المكان الذي انتقل منه أهل الرويس التحتاني إلى قريب منه. و "النزلة"، و"الطائف"، و"الحفيرة"، وما جاورها بعد ذلك من تركيبات سكانية مقبلة.

الأراضي المشاعة

كان النمط العمراني السائد آنذاك عشاش وصناديق...

- كان كلٌّ يُبنى من سعته... أو لنقل: كان يُبنى من ضِيق ذات اليد. كان أغنى أهل الرويس من يبني بيته من الحجر. وكان أكثر أهل الرويس يبنون بيوتهم من اللَّبِن. وقد كان بيتنا من اللَّبِن. وكان هناك في الرويس من لا يمتلك إلّا أن يبني بيتًا من الخشب، ويُسمّى "الصَّنْدَقَة"، أو يبني بيتًا من القَش ويُسمّى "البَكّار".

وهذا الاسم الغريب — البكّار — يمكن أن تُسَميه العشة، لكن لدى أهل الرويس كان معروفًا بهذا الاسم. الطريف انك حينما تسمع قديمًا أن فلانًا "اشترى بيت"؛ هو لا يشتري الأرض. الأرض كانت مشاعًا لمن يريد أن يقتطع جزءًا منها.حينما يشتري بيتًا... فمعناه أنه سيفكّك الخشب — الصندقة — وينقله جنب جماعة، او يفك الأحجار عن بيت الحجر ويبنيها عند جماعته لأن من ينزل الرويس عادةً يبحث عمن سبقوه من جماعته؛ فيشتري بيتًا — بمعنى يشتري خشبًا أو حجرًا أو قشا — لكي يبني بالقرب من جماعته. كانت الأراضي ملكا مشاعًا.

سألتُ والدي — رحمه الله — بعد سنين طويلة حينما أصبحت للأرض قيمة. قلت: "يابوي ما دام الأرض كانت بلاش... أخذت لنا الأرض كلها كانت 15 في 15 ليش ما وسعت؟"

قال: "يا ابني ويش يبني لي الحوش حقها". كانت التكلفة أن تبني جدارا وليس أن تمتلك أرضا. لذلك كانت

الـ15 في 15 بالكاد هي اللي يقدر أبي أن يبنـي جدارهـا... وبالتالي تشـكّل منزلا له.

لو لم يحكو لماتوا

من هنا... أعتقـد أنه كان فيه علاقة متجـذّرة مع البحر.علاقة لـم تخلُ من الفقد والـغرَق. ولعلي هنا أسـتحضر الحكايـات الشـعبية التـي ارتبطـت بالبحّارة. لعل منهـا ما رويته أنت في روايـة الرويس... قصـة "أم عوض"، التي جنت بعد فقدان ابنها...

- تعـرف أعتقـد أن أهـل الرويـس ، وربمـا الرويـس نموذج لـكل الأحياء، لـكل القرى، فـي أدنى الأرض وأقصاهـا. هـذه التكوينـات السـكانية البسـيطة...أعتقد أنهـم لـو لـم يحكـوا لماتوا. كانوا يصنعون مـن "القَص" حياة موازية؛ كانوا يستعيدون آباءهم وأمهاتهم الذين ماتوا فـي القَـص. كان "القَـص" أوتـادًا يربطون بهـا حياتهم علـى الأرض. لذلـك كان أهل الرويس حكائيـن بطبعهم... وكانـت قصصهـم مـن تجاربهم؛ وأغلب تلك التجارب كانـت قادمـة مـن معاناتهم مـع البحـر. أو كانت اسـتعادةً لذكريـات أجدادهم فـي البر. كانـت مزيجًا مـن: البر،والبحر. المزارعـون، ومـا الـذي بقـي مـن ذكريات الأودية، البدو وما الذي بقي من تلك الفيافي التي كانوا يرعـون فيها جمالهم، البحر، وما الذي قاسـوه فيه من أهوال، يتذكرون في الحكايـات أولئك الذين ماتـوا، أولئك الذيـن غابوا... ولم يعـرف أحد كيف غابـوا، يتذكـرون — وبالتفصيـل — ماذا حدث، وكيف تعاملوا مع ما حدث، ماذا قالـوا، ومن الذي مات، ومن بقي يحمـل ذاكـرة الموت. لذلـك الرويس حكايـة. حكاية كبيـرة. ذات يوم أردتُ أن أدوّنهـا، فلـم أسـتطع إلّا أن أقدّم هذا الكتاب، الذي هو أقلّ من أن يكون وفاءً لهذا المكان.

قصة جدتي عابدة

مـا الذي يحضرُك من تلك القصص... الذاكرة...

- دعني أشـير إلى قصة "عابدة". وأنا أعرفهـا — جدتي عابدة أعرفها جيدًا. تتحـدث كيف أنهـم حينمـا رَحَلوا في البحر أثناء حصار جدة... وأمضوا أيّامًا في البحـر... مات أحـد أطفالها.وكما هـو معتاد: حينما يموت كبير أو صغير أثناء الرحلة في البحر... فليس لهم إلا أن يربطـوه بحجر ثم يرموه في البحر. عـز عليها أن تـأكل طفلهـا الحيتان. رفضـت أن يُرمـى فـي البحـر. حملته ثلاثة أيام وهو ميّت... حتى رَسَـوا إلى جانب جزيرة فدفن فيها. أتذكر جدتي عابـدة وهي تقـول: واللّه يا وليدي... مدري مدري وش هي الجزيرة... أقول لها: أبو سعد ؟ تقول: لا لا بعيدة أقـول لها: الواسـطة"؟ وتقول: لا لا... بعيدة...ومـا فيهـا أحـد... خالية... كأنما ذلك الطفل هو السـاكن الوحيد فـي تلـك الجزيرة. هـذه واحـدة ممّا ترويه "عابدة"، وهي نموذج لما يرويه أهل الرويس.

السريحي مع الزميل أنس الدريني

دعني أذكر "حامدة" وهي امرأة عجوز. كانت تجلس مُنكبّة على وجهها... في نصف المسافة بين الجلوس والسجود. لا تسـتطيع أن ترفـع ظهرهـا... ولا تسـتطيع أن تنتصـب فـي جلسـتها. وكانوا يقولون لها : إنه حينما جاء خبر وفـاة ولدهـا غرقا في البحر، سـجدت لتربـط علـى قلبهـا بالصبـر. وحينما رفعت من السـجود... لم تسـتطع أن تبلغ الاستقامة في الجلوس. بقيت في هذه المسافة بين السـجود والقعود. حامـدة بجلسـتها كانت تحمـل جنازة ولدها بقية عمرها.

تجاور البؤس والثراء

بعـد ذلك تمـردت جدة على سـورها وتداخلـت مـع حـي الرويـس وهنـا ملامح حياة جديـدة، مختلفة. وانتظم الطفل سعيد السـريحي على طاولات الدراسة...صف لنا تلك المرحلة..

- حينما ضاقت جدة بأهلها خرجوا إلى البغدادية.البغداديـة في الأصل كانت عبارة عن المنتزه الذي يخرج إليه أهل جدة مسـاء الخميس ومسـاء الجمعة، ثـم سـكنوا البغدادية. وحيـن امتلأت البغداديـة بمـن رحلـوا إليهـا، رحلوا أبعد منها فسـكنوا الرويس؛ وسكنت الرويـس أسـر كريمة من أهـل جدة. دعني أتذكر منهم: بيت البحيري، بيت خميّس، بيت بنقش، بيت فدعق، بيت بوقري، بيت المناع... سـكنوا على مبعدة من بيوتنا.

لكـن كنـا نلمـح الفـارق بين بيوتنـا الموغلـة فـي البؤس، وبيوتهـم التـي كنـا نراهـا موغلة في الثراء. وحينما سكنّا الرويس شعرنا أن ثمة من هو غني ومن هو فقير، من يملك ومن لا يملك.

كانوا بالنسبة لنا اشعارا لنا بما نحن فيه من بؤس. ولذلك لم تكـن العلاقة علاقـة ود بيننا وبينهم؛ كنا غرباء عن بعضنا. سـكنوا وظلـوا علـى هامـش الرويـس، أو لعل الرويس ظل هامشًا بالنسبة لهم.

لـم تكـن هنـاك الصداقـات المشتركة — لولا أنّ المدرسة جمعـت بيننـا وبـدأت تَمحـو هـذه الفـروق، وإن كنا لا نـزال نعرف الفـارق بيـن سـمارِنا وبياضِهُـم، ولا يـزال الفـارق بين لهجتنـا الأقرب إلى البادية ولهجتهم المتحضرة. ولا نزال نسـتغرب كيـف ينطقـون الـذال زاء، وكيـف ينطقون الثاء سـين أو تاء. كنا نميزهم بلهجاتهـم، ونميزهم كذلك بنقاء ثيابهم البيضـاء؛ والتي لم نكن نعـرف كيـف يتمكـن أمهاتهـم من جعلها بهذا اللون!

أمـا ثيابنـا، فأعتقـد أن أمهاتنـا كنّ يعجزن عن منحها مثل هذا النقاء.

إذن، حتى المدرسة دمجت بيننا، لكنها تركت مسافة للاختلاف.

لم نتمكن من تجـاوز هذا الاختلاف إلا فـي مراحـل متقدمة، ولـم يصبح لي أصدقاء من أهل البلد — أو الحَضَر — إلا في المرحلة الثانوية.

قبل ذلك لـم يكن لي أصدقاء — وأنا واحد مـن أهـل الرويـس — إلا أبناء

الرويس فقط.

وما هي حكاية عايد الرفاعي..

- عايد الرفاعي لم يكن يسكن الرويس؛ كان يسكن "عنيكش" وهي المنطقة التي تُسمى الآن مشرفة. ولم تكن البيوت فيها تتجاوز أصابع اليدين: متفرّقة. وكنت إذا ذهبت إلى عايد، نجلس تحت جدار بيتهم الشرقي، ثم لا يفصل بيننا وبين الجبال فاصل... أرض ممتدة إلى الأفق. كان يسكن هناك، ولم تكن فيها مدرسة، لذلك كنا نتزامل في مدرسة الرويس الابتدائية. هو يمضي لها من بيتهم ما يقارب الثلاثة كيلومترات، وأنا من بيتنا في حدود كيلوين. عايد كان سرًا غامضًا بالنسبة لي؛ أنا لا أعرف حتى اليوم من أين كان يأتي بالكتب. كان والده كوالدي: أقرب إلى الأمية. وكانت أمه كوالدتي: أمّية تمامًا. لم يكن وريث مكتبة في البيت، ولم أكن كذلك. ومع ذلك كان عايد يأتي مُخبئًا في كتب المدرسة بكتبٍ لطه حسين، لنجيب محفوظ، ولطفي المنفلوطي، والعقاد. ثم يُريني هذه الكتب... ثم أفضُل عليّ بإعارتها. كنا في الصف الخامس والصف السادس. كان عايد هو مكتبتي. ما زلت أحتفظ في مكتبتي بكتابٍ لطه حسين من إهداء عايد وهو كتاب حديث الأربعاء. ولا أعرف إلى الآن من أين كان يأتي عيد بهذه الكتب. وأنا لا أتذكر أنني سألته، وفات علي أن أسأله ... عايد كان بالنسبة لي هو النافذة لأن أقرأ، لأن أشعر بأن ثمة ما هو مختلف عن كتب المدرسة، وأن العالم أوسع من هذه المقررات. رحمه الله. أعتقد أنه أثّر كثيرًا بقراءاته، بمحاوراته، وبما كان يعيرني إياه من الكتب. وأثر فيّ أيضًا بموته المبكر.

أبوزاهرة الأستاذ والمكتشف

**أنس: من عايد إلى الأستاذ عبيدالله أبوزاهرة الذي اكتشف سعيد السريحي.*

-السريحي: دعني وفاء لعايد أن أذكر اسمه كاملا: عايد عيد سالم الرفاعي، رحمه الله.

أما عن الأستاذ عبيدالله رحمه الله فكان آخر لقاء بصحبتك أخي أنس وبتنسيق منك، جزاك الله خيرًا. الأستاذ عبيدالله درسني في الصف الثالث ابتدائي. درسني لغة عربية: المطالعة، المحفوظات، والإنشاء... كما كنا نسميها. ولا أعرف لماذا لفتني صوته- ذاك الصوت المليء. ربما لأن أبي رحمه الله كان صوته مليئًا. قال لي أحد الأصدقاء قبل فترة: كنا اذا مرينا من عند مركاز عايد كرامة، وكان المركز الذي يجلس أبي معهم— قال كنا نستغرب: هذا صوته زي صوت الإذاعة. كان صوت والدي مليئًا وكان صوت عبدالله زاهر مليئًا؛ لم يكن فيه هذه الحشرجة. لم يكن يرفع صوته فيصبح صغيرًا... كان دائمًا يتحدث بطبقة صوتية عميقة. لم أكن أعرف أنه يعمل في الإذاعة. وربما لم يكن آنذاك يعمل فيها. لكني أُقسم أنّني كنت مفتونًا بصوته وبلغته. ربما عبيدالله أبوزاهرة رحمه الله هو الذي علّمني كيف يمكن أن تكون اللغة جمالًا يُضاف إلى الإنسان. كيف يتجمّل الإنسان بطريقته في الكلام، وكيف تصبح اللغة ثروة تعلي من قدر الانسان.ذلك كان افتتاني به. . هذا الصوت وهذه اللغة. وأنا لا أعرف كيف تأتي لطفل في الثالثة ابتدائي أن يفتن بهذا الشيء؟

حين أصبحت في الصف الخامس، أقام اهل الرويس حفلًا بمناسبة مبايعة الملك فيصل على نمط ما أقامته أحياء جدة كافة. وكان يحضر هذا الحفل الأمير مشعل بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة، نيابةً عن الملك فيصل المتوّج على العرش. وكبار أهل الرويس يشاركون بالحضور وبما يُقدَّم في الحفل. وكانت مدرسة الرويس الابتدائية مشاركة بكشّافتها كذلك.

ولكن لم يكن بدٌّ من أن يشارك طلاب مدرسة الرويس بكلمة. أتذكر كنتُ واقفًا مع الكشافة الذين سيحضرون الحفل. فجاء الأستاذ عبيدالله وزهمني: سعيد، وأخذني. كنت مستغربًا: لماذا لا أكون مع الكشافة؟ وكان قد أدرك هذا الإحساس لديّ ، أن أحرم من أن أكون مع الكشافة الذين يشاركون في الحفل. قال لي: «لا... لك شغلة ثانية.»

الشغلة الثانية: أن ألقي كلمة طلاب مدرسة الرويس. وهذا ما تم.

كانت تلك الفرصة الأولى لي أن ألقي كلمة أمام جمع من الناس، وبحضور أمير المنطقة، سنة 1385 هجرية، كلمة طلاب مدرسة الرويس في الحفل الذي أقامه أهل الرويس بمناسبة مبايعة الملك فيصل. ولم تتوقف صلتي بالأستاذ عبيدالله بانتهاء المرحلة الابتدائية. كان أحد أبناء الرويس، ويعمل في الصحافة.

السريحي «الينبعاوي» يدخل من «باب الكسرة»:

قلب الشجي لا تخلونه!

باعتباري أصلا من ينبع النخل، دعيت الى افتتاح المنطقة التاريخية، أو "سوق الليل" كما يعرف هناك. وكان مهرجانًا شعبيًا، أرادوا أن أتحدث عن التجربة، ولم يكن لي الا ان أجسر المسافة بيني وبين الحضور في ذلك المكان "البهي". فقلت إذن: علي أن آتي البيوت من أبوابها. وما من بابٍ لأهل ينبع كباب الكسرة.

كتبتُ ثلاث "كسرات"، ربما أقربها إلى قلبي وأكثرها شيوعًا:

"ياهل البحر جيتكم مشتاق
قلب الشجي لا تخلونه
يقعد رهينة حبر وأوراق
وأهل الصفا صف من دونه"

.....

حزن

حزن ما تعرف اسبابه
معاك ياكل
اذا تاكل
معاك يشرب
معاك يمشي
اذا تمشي
ومعاك ينام
صحيح انه كثير فاتك
كثير ماتوا من اصحابك وأحبابك
وياما سهرك ليلك أسى ما فات
وياما مت من حزنك على اللي مات
بس هذا حزن ثاني
حزن يشبه غروب الشمس
وشي مكسور في صدرك
حزن يشبه قبر مطموس
وشايب مات وما خلّف
حزن مولود من أجلك
معاك يعيش
ولو بتموت يقف شاهد على قبرك.

وحين بدأت أحاول الكتابة— وأنا في الصف الثاني الثانوي— كنت أحمل بعض كتاباتي له، وكان يتولى إيصالها، ربما لصحيفة البلاد. وأعتقد أنها البلاد، وقد نُشِر لي بعض الكتابات بواسطته.

تجربتي الإذاعية طريفة

وماذا عن تجربتك الاذاعية. ربما كثيرون لا يعرفون عنها شيئا..

- هي تجربة طريفة.

جاءني— بعد تخرجي— صديقي وأخي صالح بوقري، يخبرني أنه قرأ اعلانا عن حاجة الإذاعة إلى مُذيعين. فاتفقنا أن نذهب، وذهبنا. أجرَوا تجربة أولى... نجحتُ فيها، ولم ينجح صالح—ربما لأني بحكم تخصصي لغة عربية، وصالح خريج قسم الجغرافيا. نجحتُ... غير أنهم قالوا إن لديهم ملاحظتين عليّ: أنني أستخدم أعلى الحنجرة.والأخرى: اللدغة في حرف الراء. وأن عليَّ أن أصلح هذين الخللين لكي أصبح مُذيعًا. ثم أوكلوا مهمة تدريبي إلى رجل عظيم، هو المخرج سعيد الهندي—وكان من كبار المخرجين اللبنانيين، عجوزًا متقدمًا في السن. وكانت أول ملاحظاته: «استخدامك أعلى الحنجرة طبيعي، لأنك مدرس والمدرس في المدرسة يرفع صوته لكي يسمعه الطلاب في آخر الصف، ولذلك اعتدتَ أن تستخدم أعلى الحنجرة. الآن لا تحتاج أن (ترفع) صوتك... الميكروفون أمامك. تحدث بطبقة صوت منخفضة مستخدمًا أسفل الحنجرة. ولكي تعرف أنك تستخدم أسفل الحنجرة: ضع يدك أعلى بطنك. فإذا شعرت بذَبذبة الصوت في أصابعك، فأنت تستخدم أسفل الحنجرة.»

وطلب مني أن أقرأ يوميًا صفحة كاملة من الجريدة لتقوية الحبال الصوتية، وأن أحاول أن أنطق حرف الراء بطريقة أو أخرى حتى تستقيم. بقيت مع الأستاذ سعيد الهندي رحمه الله شهرًا، أثناء انتقال عملي من التعليم، وكانت الإجراءات قد بدأت لانتقالي الى الجامعة في مكة، ولعلي بحاجة إلى أن أعترف أنني لم أكن أريد أن أكون مُذيعًا؛ لم يكن لدي الوقت الذي يمكن أن أقضيه في الإذاعة. ولكنني كنت بحاجة إلى هذا الدرس: في تصحيح لغتي نطقا، في تصحيح مخارج الحروف، في استخدام أسفل الحنجرة، وأن أتحدث كما يقول سعيد الهندي: اللي يستخدم أعلى حنجرته بعد شوي يصير مزعج.كنت بحاجة الى أن أعرف ألا أكون مزعجا. ولذلك حين فرغت منه اعتذرت عن العمل. ولكنني عدتُ إلى الإذاعة بعد سنوات حين اتصل بي أستاذي في المرحلة الثانوية- وكان قد أصبح أستاذًا في الجامعة—الأستاذ محمد سعيد تمار، وكان مدرسًا للتاريخ. وطلبوا منه أن يرشّح أحدًا ليكتب الدراما التاريخية في الإذاعة... فاتصل بي وخبرني كيف تنكتب فقلت اذا كذا تبقى سهلة.. أكملت تلك الدورة، ثم طلبت مني الاذاعة أن تستمر الدراما للدورة الثانية... واستمرت.وطلبوا مني الاستمرار فقلت لهم أنني لن استطيع الكتابة عن التاريخ. أنا رجل لغة عربية. فبدأت أكتب برنامج «رواد من بلادي»، واستمر دورتين. ثم ضاقت ... لم يعد ثمة رُواد؛ استهلكتهم في البرنامج الاسبوعي. فكتبتُ برنامجًا جديدًا... «أدباء من بلادي»... واستمر.وأتذكر آخر عهدي بالإذاعة: في آخر شهر شعبان، طلبوا مني أن أكتب دراما يومية لرمضان...والوقت كان ضيقا . كانوا يريدونها خلا ليومين أو ثلاثة. شخصية تُكتب عنها ثلاثون حلقة. كنت أنهيتُ مرحلة الماجستير. وماكان عندي شخصية ملم بها سوى أبو تمام. وكتبتُ دراما إذاعية يومية عن ابي تمام، وأُذيعت في رمضان عام 1405 هـ.أثناءها التحقت بصحيفة عكاظ لكن لم يكن بوسعي التوفيق بين الجامعة وعكاظ والإذاعة، فاعتذرت من الاذاعة وكان ذلك آخر العهد.

جبروت الوالد أمام الموت

من المنعطفات الهامة أيضًا فقد والدك. وأذكر حقيقة القصة التي رويتَها لي: حين أخبرته بأنه مصاب بالسرطان، وأنه قال لك: ياسعيد أنا لا أخاف من الموت...

- أتذكّر أننا عرفنا أنه يعاني من سرطان الحنجرة، وكان من الصعب علينا أن نبلّغه بذلك. طلبت من الدكتور سعد الجهني، مساعد الجرّاح في مستشفى الحرس الوطني، سعد الجهني، أن يترك لي مهمّة إبلاغه. وكان قد تنوم في المستشفى لتهيئته للعملية، وهي عملية استئصال الحنجرة. وأكّد الدكتور سعد علي أنه لن يقوم بإجراء العملية الا بعد أن يُبلّغ المريض بالأمر. كنتُ في حرج شديد، وكنتُ أرافقه، وأخرج معه أحيانًا إلى حديقة المستشفى. وحدث أن خرجتُ يومًا، وحين عدتُ وجدتُ أنهم أخذوه إلى غرفة الدكتور سعد الذي (أخبره) بالأمر. كنت أدفع كرسيه المتحرك، سألني: سعيد أنا أيش عندي، فقلت له: والله يابوي هذي الالتهابات اللي في الحنجرة. قال: التهابات. لا أنا عندي سرطان. الدكتور قال لي ذلك. لماذا لم تخبرني؟ قلت والله يابوي ماعرفت ايش أقول لك. قال: تحسبني خايف من الموت؟ قلت : يابوي مافيه ما أحد مايخاف من الموت، قال لي: تعال. وقفت العربة ومشيت أمامه وكان لايرى الا بصعوبة.. قال لي شف

قصيدة "خليص" الفريدة.. الوحيدة!

قصيدة "خليص". والله لا أعرف كيف كتبتها. ولو رزقني الله بمثلها لكتبتُ، ولو تكاثرتْ لصدرتُ ديوانًا، ولكنها جاءت فريدة... وحيدة.

أقصد وحيدة باللغة التي كتبتُ بها؛ كأنما كنت أريد أن أطمئن نفسي إلى أن ذلك البدوي لم يمت ذلك البدوي... لم تمحه حضارة المدينة:

لخليص لليل المشجر سواليف
لوجيه بيض سدرة الروح ترقى
ولوجيه غابت عن مسانا مواليف
جينا نكز القاف غرب وشرقا
وللضحكة اللي في نباها تقاطيف
ضحكة طفل ماناشها يوم فرقا
وللحسرة اللي ف القلوب المواجيف
لو ما اسفرت غصت به الروح شرقى
جينا على حدب القوافي المراهيف
يوم اقبلت يا شينها خيل برقا
يوم تجمعنا على زين توليف
وايام تحرق كثلة الروح حرقا
كن السطر فيها رجال مكاتيف
والنقط من فوقه مخاليق غرقى
يا خليص درب الشعر عزم وتخويف
وحروف بيض حبرها انياب زرقا
والله لو ما الشعر موت وصواريف
كان المنية تسرق الروح سرقا

ياسعيد: "أنا عمري ما بت آمن من الموت... أجي أخاف منه الآن؟ الموت طول عمره معي. لمن يجي يجي. سرطان وغير سرطان". كان شجاعًا في تلقي الخبر. وأذكر أن الدكتور سعد حدّثني مندهشا عمّا جرى معه في غرفة العمليات قبل التخدير؛ ويقول لي ايش الجبروت عند هذا الشايب. قلت له: خير. قال لي نحن نجري عملية نسبة نجاحها ضعيفة ونسبة الوفاة كبيرة, وهو يقول لي: «يا دكتور... لاشلت الحنجرة ركّب لي ماسورة مقاس 2 بوصة... علشان أقدر أبلع .مع هذا المرض من زمان وأنا ماني قادر أبلع... ركب الاثنين بوصة، اللّه يوفقك».

الهوية المركبة

أعود دائمًا إلى سؤال الهوية عندما أتناقش معك؛ بين البداوة والحضارة. فعلى الرغم من أنّ الدكتور سعيد كان صوتًا ورمزًا للحداثة، فإن بعضهم يرى أنه لم يخلع ثوب البداوة تمامًا. انعكس ذلك مثلًا في مناصرته للأدب الشعبي. هل في المسألة تناقض؟

- دعني أعود إلى تلك «الهوية المركّبة» لنا كأبناء الرويس؛ ودعني أجذر موقفي من خلال تلك المسألة. كما قلت لك كنا في الرويس بين هويتين ، أو لأقل كنا الهويتين معا. اعتدنا على أن ننزلق بين الهويات. لم يكن مفهوم الهوية حجرًا صلبًا يقيدنا. كان من السهل علينا أن نكون بدواً حين نستضيف أهلنا القادمين من البادية، ولم يكن صعبًا علينا كذلك أن نكون حَضَرًا، أو أن نتحضّر بقدر ما نستطيع، حين نكون مع أصدقائنا القادمين من المدينة.

كان من السهل علينا أن ننزلق بين هويتين. قبل أن أؤمن بالحداثة، أنا أؤمن بحرية الإنسان، بحرية اللغة. كيف لي أن يجمع بين هذا ايماني ومصادرته للفنون المختلفة بما فيها الفن الشعبي؟

قلتُ لأحد الأصدقاء مرة: كن حرًا، حتى لو كتبتَ بالسواحلية! الشرط الوحيد: أن تكتب شيئًا جميلًا. أكتب شيئا راقيا. اللهجة الشعبية مستوى من مستويات اللغة، ليست مستوى أعلى أو أدنى، بل مستوى مختلف. وبإمكانك أن تكون شاعرًا عظيمًا إذا عرفت كيف تكتشف القيم الجمالية في اللغة التي تستخدمها.

أنا أعتقد بأن "بديوي الوقداني" شاعر عظيم لا يقل شعره جمالًا عن فصاحة حافظ أو شوقي أو البارودي أو الغزاوي – على سبيل المثال –. لم تقعده لهجته من أن يكون شاعرًا كبيرًا، ولم ترتقي الفصحى أيضا بالشعراء البائسين.

ولكن لك موقف من وصول الشعبي الى المؤسسة.

- تلك مسألة أخرى. حين تتحول أي لغة إلى "لغة مؤسسة" – أي تصبح جزءًا من خطاب مُصادِر لغيره – عندئذٍ أنا لا أقف ضد الشيء في ذاته، بل ضد تحوّل الشيء إلى سلطة. بمعنى: لا أريد للعامية أن تصبح، بما يُدعم لها من عمل مؤسساتي، قوة ضاغطة. وكذلك لا أريد للفصحى أن تتحول إلى سلطة تفرض نفسها على الناس باسم الفصاحة.

أعتقد أنني سأقف ضد الفصحى حين تصبح الزامًا للكتابة، وسأقف ضد العامية حين تصبح الزامًا للكتابة. الوقوف إذن هو ضد مأسسة مستوى من مستويات اللغة على حساب المستويات الأخرى.وكذلك حين أقف ضد بعض التجارب، فإنما أقف ضدها لهشاشتها. أقول دائمًا: العامية عامية الفِكر، وليست عامية اللغة. لذلك لا تنقذ الفصحى من كان عاميا أو سوقيا في تفكيره.

التاريخ هو الذي انتصر

مسيرة هائلة من الحراك والسجال تخللها سحب درجة الدكتوراة منك ، اليوم من الذي انتصر بعد كل هذا السجال مع المتشددين ؟

- لا يمكن لي أن أعتبر ما حدث انتصارًا فرديًا لي، وإنما هو انتصار لما راهنت وراهن أصدقاء وزملاء كثر عليه. أن الانتصار لن يكون للانغلاق مقابل الانفتاح، ولن يكون لزيف الوعي مقابل الوعي الحقيقي، ولن يكون للقبح مقابل الجمال.

كنا نراهن على وطنٍ منفتح، وها نحن نعيش هذه الحقبة من وطننا.

كنا نراهن على حرية التواصل مع العالم، وها نحن نمارس هذا التواصل اليوم.

كنا نراهن على حقوق الناس، رجالًا ونساءً، وها نحن نشهد هذا العصر.

كنا نراهن على أن المستقبل سيكون للمستقبل. وكانوا يراهنون على أن يكون المستقبل صورة منعكسة من الماضي. لم ننتصر نحن، وإنما انتصر التاريخ؛ والتاريخ لا يمكن أن يمضي إلى الخلف، هو يمضي إلى الأمام دائمًا، مهما حاول بعضهم أن يضع العصا بين قدميه.

اتهموني بالشعبوية

في كتاب "حجاب العادة" ما الذي أردت أن تقوله؟

- بالمناسبة – هذا الكتاب اتُّهمتُ بسبب أكثر من مقال فيها بالشعبوية ، أردتُ أن أُخرج ظاهرة الكرم من كونها كما أرادوا لها: طبيعةً وخلق. وكأنما العربي خُلق كريمًا. بينما أردتُ أن أضعها في إطار التجربة. بمعنى ان نمط الحياة في الجزيرة العربية آنذاك كان يجعل من الكرم مخرجًا من المأزق. نحن لسنا في مجتمع وفرة. ذلك الراحل عابرُ البريّة حين يصل إلى قرية لا يجد الأسواق التي يشتري منها ما يحتاجه، ولا كانت هناك أماكن يتزوّد منها بسهولة، ولا كان بوسعه أن يحمل قوت رحلته على ظهره أيامًا وليالي. لذلك لا بدّ من إكرامه. بدون هذا الاكرام سيجد نفسه أمام خيارين: إما أن يموت جوعًا، وإما أن يسلب ما يمكن أن يقيم به اوده. هناك حديث شريف أوردته في الكتاب:

قالوا يا رسول اللّه، ننزل بأقوامٍ فلا يقروننا. قال عليه الصلاة والسلام: إن لم يفعلوا فخذوا منهم حقَّ الضيف. والحديث تداولته الشروح والعلل، لكنه يصوّر المأزق. "خذوا منهم" . اذن البديل هو أن تكرم الضيف، كأنما تفتدي بعض مالك ببعضه. هذه هي التجربة الكامنة كانت خلف الخطاب، والتي حجبتها عنا عادة أن نأخذ الكرم باعتباره خليقة وسجيّة وطبيعة، وكأنما يولد العربي كريما! هو تأسس من منطلق الضرورة ولكن حول لكي يصبح خلقا وقابلا أن يتقبل. هو اذن يكرم بسجيته غاضا الطرف عن أن الأصل في المسألة هو أن يفدي ماله ببعض ماله.

ما صنعته أنا هو أنني وجدت في الشواهد العربية – شعرًا وقصًا وأمثالًا وتشبيهات وصورًا واستعارات – ما يمكن ان يكشف لي هذا البُعد الخفي للتجربة، البعد الذي ظلّ محجوبًا بالتصوّرات "الميتافيزيقية" للكرم.

من اوراق السريحي غير المعروفة

1 - التجريد باعتباره تمردا على التأويل

التجريد تمردٌ على التأويل..
التجريد يدير ظهره للمعنى..
التجريد لا يستلهم الكائنات ولا يحاول إعادة خلقها..
التجريد يعود إلى أصل الكائنات
يعود إلى اللون قبل أن تتلبسه وردة فتصبح حمراء
وقبل أن يصطبغ به الدم فيغدو قانيا
التجريد يعود إلى الكتلة قبل أن تتخلق جسدا أو صخرة. إلى الفراغ قابلا أن ينبثق منه الوجود أو يبقى فراغا إلى الأبد.
تلك هي العتبة التي ينبغي أن نقف عليها كي نتملّى أعمال الأعمال التجريدية فلا نبحث لها عن تأويل ولا نلتمس لها معنى غير هذا الحوار بين اللون واللون وغير هذا الجدل بين الكُتَل وغير هذا الفراغ مترقبين أن تنبثق من اللون وردة أو يسيل دم، وأن تغدو الكتلة جبلا أو جسدا أو حقلا، ومن بين منعطفات الفراغ احتمال أن يطل علينا ما لا نتوقعه من الكائنات.
التجريد في جوهره عودة إلى مادة الخلق الأولى كتلةً ولونا وفراغا..
التجريد تجربة تجرد كل شيء من كل شيء وتوقفك على عتبة الوجود والعدم معا.

2 - الرقابة الذاتية : الكاتب .. قاتلا وقتيلا

بين الأديب والرقيب مسافة مرصوفة بالتوتر إن لم تكن معبدة بالعداء المتبادل على نحو يجوز معه للأديب أن يتمثل بقول أحمد شوقي بعد نقله من مجاله الدلالي:

بين الرقيب وبيننا
واد تباعدنا شؤونه
نغتابه ونقول لا
بقي الرقيب ولا عيونه

وإذا كان شوقي إنما قصد ذلك الرقيب الذي يترصد العشاق والمحبين فإن بين الأديب والكتابة من العشق ما يمنحنا الحق في نقل البيت من مجاله الدلالي إلى ما يجعله أليق بما نحن بصدده هذا المساء.
وإذا كانت ندوتنا هذا المساء قد اتخذت من "جزء من النص مفقود" فإن تاريخ محنة الأديب مع الرقيب كفيل أن يعيد إلى ذاكرتنا نصوصا بأكملها ظلت مفقودة لا تكاد تصل إلى القراء فإن وصلت إليهم في بلد حال الرقيب دون وصولها في بلد آخر، وحسبنا أن نتذكر في هذا المضمار رواية مزرعة الحيوان لجورج اورويل التي صدرت عام ١٩٤٥ وتآمر عليها الرقيبان الانجليزي والسوفيتي، فحين رأى فيها الأول إمساسا بعلاقات بريطانيا بالاتحاد السوفيتي حليفه

في الحرب العالمية الثانية رأي فيها الآخر نقدا للثورة السوفيتية وللنظام الشيوعي فسحبت نسخها من الأسواق. وتقدم روايتا الخبز الحافي لمحمد شكري وأولاد حارتنا لنجيب محفوظ أنموذجين عربيين فقد ظلت الروايتان ممنوعتين في بلدي الروائيين وبعض البلدان العربية الأخرى بينما اتسع لهما صدر رقيب بعض البلدان العربية فظفرتا بنصيب من القراءة ما كانتا تظفران به لولا فضل الرقيب عليهما.
تلك كانت نماذج لنصوص كاملة غيبها الرقيب جملة وتفصيلا.
غير أن عمر الرقيب مهما طال أقصر من عمر الإبداع ولذلك ذهب الرقيب وبقيت مزرعة الحيوانات شهادة على ما تفعله الأنظمة الغاشمة بشعوبها وبقي الخبز الحافي رغيفا يتغذى عليه الفقراء وبقي أولاد حارتنا علامة على فعالية الإبداع حين يحاول تخييل الأصول ومقاربة المسكوت عنه فيها، ذهب الرقيب وبقي الابداع وكأنما يصدق عليه قول الجواهري:

باقٍ وأعمار الطغاة قصار
من سفر مجدك عاطر موار
والمجد جبار على عتباته
تهوي الرؤوس ويسقط الجبار

وإذا كان عمر الابداع مرتبطا بتطلع الفن إلى الخلود ومخاطبته لما هو إنساني ثابت لا يتغير بتغير الأجيال ولا يختلف باختلاف الشعوب، فإن عمر الرقيب مرتبط بظروف عصره ومخاوف أنظمته وراهن الثقافة في بلده وجميعها تتغير وتتبدل وتتلون فما تدوم على حال تكون بها كما تلوّن في أثوابها الغول، وإذا كان قدر الكتاب أن يرث الرقيب فإن حسن حظه أن صدر الرقيب قد يتسع لما ضاق عنه سلفه وقد يورثه حظه العاثر رقيبا أشد ضيقا وتعسفا ممن سبقه، وفي الحالين يبقى الإبداع الحقيقي ثابتا يتطلع إلى الخلود وتبقى قوانين الرقابة متغيرة يترصدها الأفول.
والرقيب، ليس من مواليد العصر الراهن ولا من مستجدات الأنظمة الحديثة فهو كائن يضرب بجذوره في القدم فما من نظام ينشأ إلا وتنشأ معه مخاوفه ممن يخالفه وممن يختلف عنه وفي تاريخنا من شواهد الكتب التي أحرقت والأجساد التي صلبت ما يجعلنا نتوهم أننا بتنا أرحم حالا مما كان عليه أسلاف لنا ذهبوا ضحية ما كتبوا أو ذهبت النار بما كتبوه فلا نكاد نجد من إرثهم شيئا.
غير أن ما يحمل للأدب والأدباء العزاء أن الرقيب الذي نجح في أن يجعل نصا أو جزءا من النقص مفقودا حرض بذلك الأدباء على انجاز ما يمكن أن نسميه نصا أو جزء من نص مخفي، وتولدت بذلك نصوص عظيمة لها ظاهر يخاتل الرقيب ببراءته وباطن لا يملك الرقيب أدوات النفاذ إليه، نصوص يمكن قراءتها على أكثر من مستوى وتقدم أكثر من احتمال للمعنى، ولا نقصد بذلك ما ينحصر في دائرة ما تم التواطؤ على تسميته بالأدب الرمزي بل كل أدب عظيم يستمد خلوده من قدرته على توليد المعاني واكتشاف الاجيال لطبقات متراكمة ومتراكبة للمعاني لا يكاد معنى ينفد حتى يتولد عنه معنى آخر، على نحو يمكن لنا معه أن نزعم أن النص العظيم نص مخاتل على نحو يجعله نصا عصيا على الرقيب أن يلقي القبض عليه، ولنتذكر أن المعري الذي ضاق ذرعا بالمراقبين على كافة مناحي الحياة في عصره حين هتف قائلا :

اخفض الصوت إن نطقت بليل
والتفت بالنهار قبل المقال

هو المعري الذي زخرت قصائده ورسائله بمعان ودلالات لم يخفض فيها صوتا ولم يلتفت فيها قبل المقال مع أنها كانت كفيلة بزلزلة ثقافة عصره وزعزعت الأركان المؤسسة على تلك الثقافة.
ذلك هو الرقيب وتلك هي غاية ما يمكن أن يبلغ أثره، غير أن الرقيب الأكثر خطرا وفتكا والذي لا تقوم معه للأدب قائمة ولا للفكر مكانه إنما هو ذلك الرقيب الداخلي الذي يتخفى تحت أصابع الكاتب حين يكتب ويتسرب في صوته حين يتحدث ويهيمن على فكره حين يفكر، ذلك الرقيب الداخلي أو الذاتي الذي يولد في حضن تربية تقوم على الاستسلام والخوف ويترعرع على يد تطويع ممنهج يعلمه الحذر والمداراة ويبلغ أشده حين يصبح للأديب والمفكر طموحاته وأطماعه التي تجعله يرى أن ليس من الحكمة يجاهر بما يعلم أو يقول ما يعتقد.
ذلك الرقيب الداخلي الذي يصادر حرية الكاتب قبل أن يكتب ويئد فكره قبل أن يتبلور والذي يتعارض مع الكتابة التي لا تخضع لغير شروطها ولا تتطلع لغير الحرية أفقا والإنسانية هدفا والجمال وسيلة للإبداع.
النجاح الحقيقي للرقيب ليس في مقدرته على أن يخفي جزء من النص بل في مقدرته على أن يتلبس المبدع نفسه فيخفيه وعندها يتحول المبدع إلى قاتل وقتيل في وقت واحد.

3 - ترنيمة للصباح

صباحُ الخيرْ
صباحٌ يشبهُ كثيرْ وجهِكْ
.. بسيطٌ جداً
.. عميقٌ جداً
.. ورغم إنّهُ بري جداً
.. يحيّرني كثيرْ جدا
.. كأنّهُ النور
كثيرْ واضح
ويخفي أعمقْ أسراره
تفيضُ الجنةْ من سحره
وما يعرفْ احدْ ناره

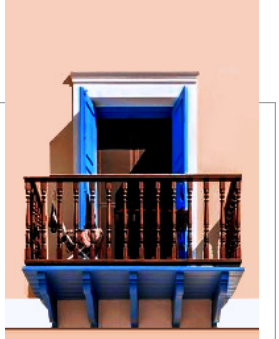

الملـف

شهـــادات

عندما قال له الشدوي: «آن لك أن تموت يا سعيد.. ابنُك إقبال سيَدْفِنُك.»

مأزق أن تكون ابنَ سعيد السريحي.

إقبال سعيد مصلح السريحي

أدّعي أن والـدي، كما أنه لم يكن مثقّفًا عاديًا من حيث تكريس نفسه لما آمن به من جدوى القراءة والاطلاع، ومن حيث إنه عاش كما يحب أن يعيش: صادقًا نقيًا، لا فرق بين سريرته وعلنه؛

فإنه كذلك لـم يكن أبًا عاديًا وهو يحيّد نفسه عن ممارسـة دوراً ديكتاتورياً في تفاصيل قراراتي الحياتية، أو يمارس دورًا سـلطويًا حين كنتُ طالبًـا بالكاد أتجاوز سنوات الدراسة.

ولم يكن كذلك أيضًا عندما اشتعل حماسي تجاه التحصيل العلمي، فاتجهتُ لدراسة الهندسـة والإدارة، وأصـدرتُ مؤلّفيـن بعيديْن كل البعد عن مجالات النقد والأدب التي انشغل بها طوال حياته.

والدي، وهو ينجح في ممارسة أبُوّةٍ تتّسق مـع أفكاره حـول حرية التفكيـر ومكانة الإنسـان وحقوق إبداء الـرأي والتصرّف والاختلاف، كان — من حيث لا يقصد — يمارس ديكتاتورية النموذج الذي يطغى على تكوين قناعاتي وآرائي تجاه الحياة.

سعيد، في وجهة نظري كأكبر أبنائه وجاره الملاصق، والقريب من أصدقاء طفولته ودراسته وعمله،

كان إنسانًا أكثر مما أستوعب، وأعمق مما أتخيّل؛

متسامحًا حدّ الاستفزاز، لينًا حدّ الغضب، بشوشًا في وجه الاختلاف؛

شريفًا حين يخاصم، وصادقًا حين يحب.

وبقدر تشابهنا الظاهري وانسجام علاقتنا كأبٍ وابنـه فيما يخصّ قراراتنا الحياتية، كنّا ضحية تناقض فكرة أن تكون إنسانًا مؤمنًا بحرية الآخريـن وتقبّل اختلافهم عنك، ومؤمنًا بحريّتهم،

وأن يُحاصرك نموذجُ أبٍ شكّل قدوةً ترى أنك الأَولى بها، وتتعشّـم — كونك أكبر أبنائه — أن تكون روحًا كروحه، وجسدًا لقناعاته

حتى وأنا أرى سعادته، ذات مرة، وصديقه الأسـتاذ علي الشـدوي يعلّق على ورقة قدّمتُها ضمن فعاليات حلقة جدة النقدية، حيث قال:

"آن لك أن تموت يا سـعيد.. ابنُك إقبال سيَدْفِنُك."

ويقصد بذلـك إقبال الذي قـارب الأدب وانشغل بمسائل الفلسفة واللغة، وتصور — مشكورًا — أنني سأتفوّق على سعيد السريحي في هذا المجال.

أقول: حتى وأنا أرى سعادته بهذا الرأي، كنت في اللحظة نفسها أُجزم بأن لا أحد يتخيّل فداحة أن يكون سعيدٌ أباك.

فإن كانت شهادة القاصي والداني أن ما جعل سعيد السريحي كذلك هو فصاحته ورُقيّ لغته وصوته الشـجيّ وهو ينتقل بين منابر الثقافة والأدب،

فمن وجهة نظري: سـعيد الإنسان أكثر تميّـزًا وأثقل وزنًا وأعمـق من أن يكون مجرد مثقف.

سعيد كان قاسيًا جدًا وهو يمارس إنسانيةً محبّةً مخمليةً متسامحةً لينة رقيقة.

بانتظار أن يصحو ثانية.

د. سعد البازعي

عرفت سعيد السريحي أو بالأحرى سمعت به أواسط الثمانينات.
كان ذلك حين التقيت محمد الثبيتي لأول مرة. وكان ذلك في الرياض حين دعاني إلى لقائه الصديق المشترك الشاعر الآخر، والراحل الآخر أيضاً، عبد الله الزيد في منزله، ومن الحديث الذي دار مع الشاعر الشاب (كلنا كنا شباباً آنذاك) عرفت عن ناقد أعجب به محمد كثيراً. قال إن اسمه سعيد السريحي وأن لديه موهبة كبيرة في نقد الشعر الحديث وأن بينهما صداقة متنامية، أو هكذا أذكر. لم أحتج إلى وقت طويل لأكتشف أن ما قاله الثبيتي، الشاعر الذي سيصير كبيراً، أن الناقد الذي تحدث عنه كان في طريقه إلى أن يكون كبيراً أيضاً، بل إلى اعتلاء سدة الإبداع النقدي. أدركت ذلك حين التقيت أبا إقبال في فترة مقاربة وفي نادي جده الأدبي بدعوة من النادي لإلقاء محاضرة هناك.
ولم تتوقف اللقاءات منذئذٍ.
كانت بداية صلة أرجو من الله أن تستمر بعودة أبي إقبال إلى عافيته ونشاطه المعهودين. التقينا كثيراً وفي أماكن كثيرة، وكان ذلك في الثمانينيات والتسعينيات بصحبة الطليعة المثقفة والمبدعة من الشعراء والكتاب والنقاد: عبد الله نور وعلي الدميني ومحمد الدميني وعبد الله الصيخان وصالح الأشقر ومحمد جبر الحربي ومحمد عبيد الحربي وحسن السبع وعبد الرؤوف الغزال وأحمد الملا وآخرين يصعب حصرهم. التقينا في الرياض وفي جدة والطائف وجازان وأبها والدمام والأحساء والجوف وغيرها. كل ذلك على منصات شامخة لإنتاج الأدب والثقافة والمعرفة. ولم تكن كل تلك المنصات منابر للإلقاء أو النقاش فحسب وإنما كان من بينها منصات للكتابة والتحرير، كانت المجلات ومنها (النص الجديد) التي جمعتنا بالراحل الكبير علي الدميني وأصدقاء آخرين.
منصة أخرى كانت في البحرين، في مؤتمر كبير للنقد الأدبي دعت إليه جامعة البحرين إبان التسعينيات. أذكر تلك المنصة أو اللقاء لأهميته الخاصة بالنسبة لي شخصياً. قال لي سعيد واحدة من تلك العبارات التي تمسك بتلابيب الذاكرة بقدر ما تصنع الأحداث وتغير الاتجاهات. قال: لم لا نرى لك نشاطاً في الترجمة؟ وأضاف عبارات محفزة شعرت إزاءها بالخجل من أنني مع كل ذلك التأسيس في الآداب الأجنبية لم أنشغل بالترجمة منها أو إليها. وكان أن بدأت فعلاً ولكن متأخراً في ما أعده اليوم جانباً رئيساً من مساهمتي في المشهد الثقافي العربي. تلك كانت إحدى ثمار الصلة بأبي إقبال أذكرها اليوم لأول مرة.
لكن لقاءاتي بسعيد لم تكن دائماً على ذلك المستوى المبدع أو في ذلك الاتجاه المحفز على العطاء.
التقينا أيضاً لقاءات مؤسفة، هذه المرة على صفحات من هاجموا الحداثة من مناوئي الحراك الأدبي آنذاك وكذلك ممن تحدثوا باسم الحداثة وادعوا زعامتها أيضاً. غير أن لقاءاتنا الفعلية الحقيقية لم تتوقف. التقينا، وفي كل لقاء من لقاءاتنا كانت الرؤى تنمو والأفكار تنضج في أحاديث ومقالات وكتب وندوات ومحاضرات كلها تسهم أو تسعى للإسهام في رسم معالم الحراك الأدبي والفكري السعودي.
وكان للدكتور سعيد قصب السبق في الكثير مما كان يلقى ويكتب وينشر. وكان هو ذاته الدكتور الذي دوت باسمه اللقاءات والمنتديات حين صعد بالدكتوراه المستحقة لتهبط المؤسسة الأكاديمية بتراجعها عن منحه إياها. صعد بمنتج عجز عنه كثير ممن ظنوا أنهم قادرون على سحب اللقب منه والتقليل من أهمية فكره وأطروحاته.
دخل سعيد السريحي حيز الأساطير بتلك الواقعة التي وضعت حراك التحديث الثقافي على محك المؤسسة الجامعية العاجزة عن مجاراة التغيير، كما هو شأن المؤسسات غالباً بما يثقل كاهلها من أنظمة وعقول يصعب عليها رؤية التغيير. واجه سعيد ذلك كله بروح شجاعة وعقل رحب، ثم واجه آخرين ممن تصدوا لما أنتج هو وغيره، واجه إعلاميين وكتاب صحف وأهل منابر من أهل "الصحوة" وغيرها. "كي لا نصحو ثانية: تفكيك خطاب الصحوة وآليات الهيمنة على المجتمع"، كان ذلك عنوان كتاب سعيد رداً على مهاجمي الحداثة. كان بذلك يكتب الحكاية الأصدق للحداثة ونقيضها. يكتبها من زاوية من رأى التغيير ينتشر في أرجاء المملكة في رؤية مبشرة بالجديد والمنفتح، الرؤية التي بثها عهد جديد أطلق عقال الطاقات من مكامنها وأتاح لعقل مثل عقل سعيد السريحي أن يتنفس العطاء من جديد.
أكتب هذه الكلمات بدعوة من الصديق المثقف والإعلامي البارز أ. علي مكي وهو وأنا، بل نحن جميعاً، بانتظار عقل سعيد أن يتنفس من جديد. رد الله له ولنا أنفاسه المفكرة المبدعة. كلنا بانتظار أن يصحو ثانية لكي نصحو معه.

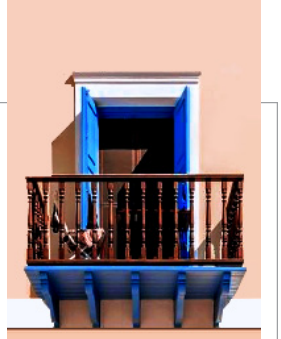

الملف
شهادات

سعيد السريحي: "النصر لا الشهادة".

د. حمود أبو طالب

هكذا حسم سعيد السريحي موقفه من أكبر فضيحة حدثت في الوسط الأكاديمي برفض جامعة أم القرى منحه شهادة الدكتوراة بعد اكتمال كل متطلباتها وشروطها قبل أكثر من أربعة عقود. قال تلك العبارة في معرض تعليقه على سلسلة الحلقات التي نشرتها صحيفة "مكة" عام 2015 عن قصة حجب الشهادة عنه، وكشفت فيها خبايا وأسرار يندى لها جبين العلم وأمانته وشرفه وحياده، وصدمت الجميع بما فيهم السريحي نفسه، الذي صرح للصحيفة آنذاك قائلاً "منذ أن أعلنت الجامعة رفضها منح الدرجة، وليّتها ظهري غير آبه بها، غير أني أخفيت في صدري ثقةً مطلقةً بأن الأجيال القادمة سوف تنتصر لي وتحاسب الجامعة على ما فعلت، ولا أنتظر مطلقاً من الجامعة أن تتراجع، ولذلك فإن ما كنت آمله من نصر أراه يتحقق يوماً إثر يوم". وفعلاً انتصر السريحي، وبقيت الوصمة في تأريخ الجامعة.

وحين نذكر قصته مع الدكتوراه فلأنها من أشرس نماذج وتمظهرات الحرب الضروس التي كانت تُشن بلا هوادة على فكر أدبي وثقافي يحاول الخروج من شرنقة النمطية والرتابة التقليدية الى آفاق أرحب، ولكن تم تحويره ونقله من قبل التيار المتشدد المؤدلج، ذو الحظوة والسطوة، الى ساحة الدين والهوية الاسلامية، وتشكلت ما يشبه محاكم تفتيش النوايا، والفرز والتصنيف بناءً على معايير ذلك التيار الطاغي، الذي أباح لنفسه ممارسة أشد صنوف الأذى تجاه من لا يخضع له، أو يختلف معه، أو يلمّح لأهدافه المستترة. رمى سعيد السريحي قصة شهادة الدكتوراة خلف ظهره، ولم يتأثر بندوبها التي ترسبت في نفسه، ومضى يمارس دوره في ساحة الأدب والفكر والثقافة والصحافة بحضور بهي وعميق ومؤثر، اتسعت ساحته في أرجاء الوطن العربي، وأصبح من أهم الأسماء التي لا يكتمل محفل أدبي إلا بوجودها.

عرفت الأجيال سعيد السريحي ناقداً وباحثاً في الأدب واللغة، ومشتغلاً بقضايا الثقافة والفكر، وشاعراً بديعاً حين يداهمه شيطان الشعر الفصيح، أو بلهجته الشعبية العذبة. عمل بالصحافة معظم وقته لكنها لم تكن على حساب مكونه الحقيقي الأساسي كأديب ومثقف متميز. عاش صخب المدن لكنه ظل ذلك البدوي الممتلئ بحمولات القرى من تراث وعادات وقيم وصلابة في مواجهة الحياة. منحه اللّه ميزة فريدة، فعندما يتحدث سعيد السريحي في موضوع أو قضية تشعر بترابط عجيب في حلقات السرد، وحضور أعجب للاستشهادات والاستدلالات المناسبة والمتوافقة مع رؤيته لما يتحدث عنه، تنهال ذاكرته المكتنزة بشكل متألق وهو يتحدث بلغة فخمة تسر السامعين، ومع ذلك لم تداخله الخيلاء ولا لوّثه الاستعلاء، استمر بسيطاً قريباً متصالحاً مع ذاته، ومع كل مفارقات الحياة التي يتأملها بنظرة الحكيم.

الآن يرقد سعيد السريحي على سرير المرض بعد أن داهمه بغتةً في الجزء الأهم الذي كان يحرك إبداعه، ربما لم يحتمل دماغه كل هذا العبث الذي يحدث في الدنيا فانفجرت شرايينه، إنه الآن في النقطة الحرجة الفاصلة بين عالمين، لكننا نتوسل الى اللّه أن يعيده لنا ، ويمن عليه بالشفاء والعافية، وإنه على ذلك لقدير.

سوف يعود سعيد السريحي.

عبده خال

سعيد السريحي لا يمكن اختصاره في كلمة، او مقال ،او جريدة بكامل صفحاتها. سعيد لم يدخل إلى حالة إغماء، هو الان ينسق حديثا لم يقل ، أو لم يكتب بعد. لن نستوعب هذا إلا حينما يفيق لكي يسرد ذلك العالم الذي تنزه فيه ، ورأى مالا يُرى.

عالم الغيبوبة متسع الأركان، عميق الأرض، شاسع المدى، بل الأرض غير الأرض، والمقاسات غير المقاسات ، والإدراك غير الإدراك .. وإذا قيل لك أن سعيد يعاني من تدنى الإدراك فهذا حكم الأجهزة الطبية التي لا تحمل طاقة الإنسان الخلاقة، طاقة تمنح صاحبها ادراك خاصا مغايرا لطاقة ادراك الإفاقة.

وحين تقف على جسد سعيد، ذلك الجسد المسجى فانت ترى هالة تضيء في مكان ما من تلك الجبهة التي انبثقت منها أفكارا سلبت عقولنا حين كان سعيد يتحدث بها ، وعنها.

ويستوعب تلك الهالة من عرف سعيد، وقد زاملته زمنا طويلا منذ أن وطأت أقدامه جريدة عكاظ، ، ورأيت تشكلات ملامحه في كل الحالات الإنسانية (فرحا، تأملا، حديثا، غضبا، تنكيتا) ، وأرى الان جسده المسجي كنائم قد رأيته نائما في سفرياتنا المتعدة ، لا شيء اختلف ، فتلك الهالة بقيت تشع من ناصيته . وكلما وقفت أتأمل سعيد ، وهو مسافر في غيبوبته استشعرت انه يحلق في سماوات لقطف الأفكار التي لم تنبت (بعد) في مخيلة أي كاتب جال الواقع المعاش ، فلم يعثر على فكرة خارج سياق، ولان سعيد مدمن في خلق الأفكار المدهشة، سافر في غيبوبته ليأتي بما لم يأت به أي كاتب سابق.

أعرف جلطة الدماغ، وسمعت عن نزيف الجمجمة ، الحالتان (كما أتصور) الخروج من الإدراك الطبيعي الى ادارك سام، فإذا قالت الأجهزة الطبية ان ذلك الجسد المسجى انخفض ادراكه ، فتلك الأجهزة كليلة عن معرفة الإدراك السامي.. قلت أعرف الجلطة، فبها عالم نوراني يحجبك عن رؤية المعاش، يحجب رؤية الاطباء، والممرضين، والأحبة، وكل من حولك لا يصلون الى ما ترى.

كنت، ولازلت أحاول تجسيد تلك الحالة روائيا، كتبت تلك الرواية وكلما هممت بنشرها استدرك أني أخلط بين ادراك المعاش ، وإدراك العالم الجديد الذي عشته، وكأني موعود بالذهاب الى ذلك العالم منذ الطفولة، فرواية الطين جسدت موتي حينما كنت طفلا ، بلزمة (للتو عدت من الموت) .. وحين خرجت من (الجلطة الدماغية) ركضت في رواية (صدفة ليل)، وفي الروايتين كان الإدراك المعاش مخاتلا ، يجذبني لما اعتاد الناس من تصوير لغوي، في الجلطة ليس هناك لغة إنما احساسا لا يكتب .

سوف يعود سعيد السريحي لكي يقول ويكتب ما لم يقل أو يكتب .

والعودة أفهمها فهما ركيزته الإدراك مالم يدرك.

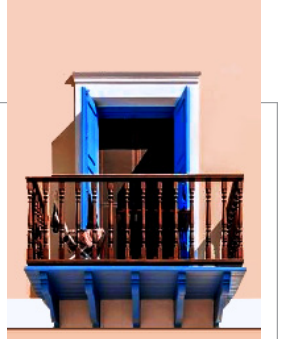

الملـف

شهـــادات

خمسون عاما بجوار السريحي.

صالح عبدالله بوقري

كان سؤالي المتكرر بيني وبين نفسي وبيني وبين ذكرياتي، هو:
- هل يدرك المراقب الذي وزع الطلاب في بداية العام الدراسي منذ أكثر من خمسين عاما أني لا زلت حتى اليوم اجلس بجوار سعيد السريحي ؟ ولم يدر في خلدي أن القلق سيزدحم في شغاف القلب وزوايا النفس والأسئلة الكثيرة ستبقى بلا إجابات، نطرق معها في حسرة ونعيشها في أسى حين نقف في زيارتك "يا أبا أقبال" بصمت، نتبادل نظرات الخوف والترقب وترتسم في ملامحنا مشاعر لم نعرفها من قبل معك، فلقد كنت أنت الناصح، صاحب الرأي الحاسم، المبادر السباق بالحلول. ويبقى الدعاء الذي نلجأ به الى الله في مصابنا هذا الذي قارب الشهر راجين الله ان تعود سعيدًا واثقا قويًا. وأن تتجاوز هذه الهجعة المباغتة والصمت المظلم. سعيد .. هل تعرف أن اتصالاتنا وزياراتنا التي تتجاوز السؤال الى الهلع وتتخطى الاستفسار الى الصمت المليئ بالرعب اصبحت مرارة نعيشها كل يوم,
سعيد وأنا أطالع الإهداء على روايتك التي أتمنى من كل قلبي أن لا تكون الأخيرة وأنت تقول:
"إلى أخي صالح بوقري
كنت وما زلت نافذتي، نافذتي التي أطل منها على جدة فأبصر أجمل ما فيها من خلالك"
أحدق حولي وأرى المدينة وناسها وحواريها وشوارعها من خلالك
أخي سعيد عسى الله ان يرفع عنك ما أنت فيه ويرفع عنا ما نحن فيه.

شهـــادات

وجود أصدقاء أوفياء لا ينالها إلا أصحاب السيرة العطرة.

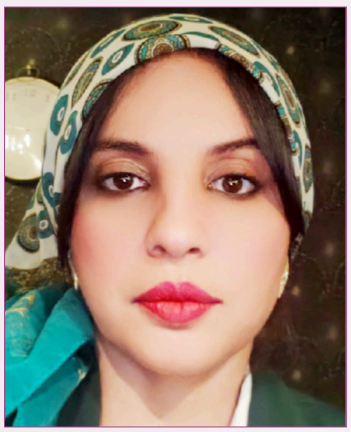

فدوى النايل*

إلى أصحاب وأحباب الدكتور سعيد السريحي، أسأل الله تعالى أن يمنّ على الدكتور سعيد بالشفاء التام والعافية الدائمة، وأن يرفع عنه كل بأس.
أودّ أن أوجّه رسالة تقدير واحترام إلى الدكتور سعيد، لأخبره بأنّ سيدة مغربية مقيمة في ألمانيا تُدعى فدوى النايل، تحمل له في قلبها كل المحبة والتوقير، وتدعو له بصدق أن يشفيه الله ويعافيه. وقد بلغني عنكم كل خير، وما سمعتُ إلا جميل الثناء وطيب السيرة.
وقد وصلني هذا الصيت الحسن من خلال المستشار الأستاذ صالح البوقري، ذاك الصديق الوفي الذي يحمل لكم محبة صادقة لا يحدّها زمان ولا مكان، ويظلّ مخلصاً لكم حيثما حَلَّ وارتحَل في أنحاء العالم. أعرفه صديقاً نبيلاً يفتخر بكم، ويحرص دائماً على ذكر خصالكم الرفيعة ومكانتكم السامية.
الدكتور سعيد، إن وجود أصدقاء أوفياء كالأستاذ صالح نعمة عظيمة لا ينالها إلا أصحاب القلوب الكبيرة والسيرة العطرة. وإنّي لأهنّئكم على هذه الصداقة الصادقة التي تعكس مكانتكم الرفيعة.
أسأل الله العلي القدير أن يشفيكم شفاءً لا يغادر سقماً، وأن يلبسكم ثوب الصحة والعافية، ويُطيل أعماركم في الخير.
مع خالص التقدير والاحترام،

*كاتبة مغربية مقيمة في ألمانيا

طالب الثانوية المتفوق الذي كان يتكلم باللغة الفصحى!

د. محمد أنور نويلاتي

تعود معرفة بالأخ الحبيب أبو إقبال إلى أكثر من نصف قرن الى مقاعد الدراسه الثانويه فى الشاطئ الثانويه بجدة . وكان الفتى سعيد الاول على الفصل يتكلم باللغة العربية الفصحى وسـلوكه مثل كلامه فـى غاية الجدية والالتزام وقيادة الفصل الدراسي .

تفجرت موهبته فى صحيفه "أضواء ساطعة" وهى صحيفه حائطيه يكتب فيها المقالات والمقابلات ويقف بجانبها فى الفسـحة يناقش وينافح عما نشر فيها ويساعده صديق عمره الأخ صالح بوقري الذى جمع أشعار الدكتور السريحي فى كتاب نشر مؤخرا بإسم "لك النور".

استخدام د. سعيد السريحى للغة العربية الفصحي في السن المبكرة مع مراهقين لا ينقصهـم الاندفاع والتهريج كان كفيلاً ان ينتج مواقف طريفة ، ومنها عندما قـال لأكثـر الطلاب هزلاً بمنقهي الجديه لقد قررت أن أرتبط بـالأرض ، وانتفض الزميل قائلاً يالطيف ماذا تقصد فقال أبدا أقصد أني سوف أتزوج فقال صاحبنا: طيب يا أخي قول كده لازم تفجعني.

مؤخـرا فـى أثناء الإعداد لروايته الاخيره (جدة ٩١٥) كان أن طلب آخر كتاب لى ذكرت فيه تفاصيل بناء سـور جدة والملابسات حوله وتناقشنا فى ذلك لأن روايته عن أحداث بناء السور وتواعدنا على لقاء قريب لقراءة النص الأدبى الذى أبدعه الحبيب سعيد وشاء الله أن يدخل فى هذه الأزمة الصحية .

ندعوا الله الكريم أن يشفيه ويعافيه ويجمع له بين الاجر والشفاء ، انه سميع مجيب.

السريحي... قامة تُشفى بالمحبة.

صالح شبرق*

حين يذكر الأدب السعودي الحديث يبرز اسم الدكتور سعيد السريحي واحدا من كبار صناع الوعي النقدي ورواد اللغة المتجددة فهو من تلك القامات التي لا يمر حضورها في المشهد الثقافي مرورا عابرا بل يترك أثرا يشبه ضوءا يمتد في الذاكرة كلما حضر صوته أو كتبه. هو ناقد وكاتب وشاعر وإعلامي وصوت ظل لسنوات طويلة يرفد الساحة الفكرية برؤى عميقة وبقلم قادر على إعادة تشكيل الأسئلة وإحياء اللغة دون أن يفقد رصانته وهدوءه.

يمتلك السريحي قدرة على الجمع بين الفكر والسرد وبين جماليات اللغة وصرامة التحليل فجعل من النقد مساحة للتأمل لا للهدم ومن الكتابة جسرا يصل القارئ إلى مناطق أبعد من النص وأقرب إلى المعنى. عرفته الصحافة والجامعـات والمنتديات الثقافية بوصفه مثقفا واسع الأفق قارئا لما خلف الكلمات ومتفهما لما وراء البنية الظاهرة للنصوص وهو في كل ذلك يقدم معرفة تتقدمها أخلاق عالم ومهابة شاعر.

وعلى المستوى الشخصي اكتشفت خلال عملي معه في الأقسـام المتخصصة أن السريحي لا يقرأ الأدب فقـط بل يقرأ الفنون كلها بعين ناقد بصري يقف أمـام اللوحات كما يقف أمام القصائد يتأمل اللون وخطوطه ويصغي لإيقاع العمل الفني كأنما يصغي لقصيدة تتشـكل أمامه. ويمتد حسـه الجمالي إلى الموسيقى التي يتذوقها بوعي شاعر يدرك تفاصيلها وروحها ويمنحها مكانها الحقيقي في عالم الذائقة.

ومن بين ما غرسه في عملي الصحفي ذلك الحس الرفيع بصناعة العنوان ومدخـل المـادة إذ كان يعلمنـي أن العنوان ليس كلمة بـل بصمة وأن بداية النص وعد للقـارئ بما سيأتي بعده وأن أول جملة في النص هي البوابة الذهبية التي تحدد مستوى ما بعدها.

واليوم نقف بمحبة ودعاء صادق نسأل الله ان يمن عليه بالشفاء وان يلبسـه ثوب العافية وان يعيده إلـى قرائه ومحبيه وهو أكثـر قوة ونورا وان يجعل ما اصابه رفعة في مقامه وزيادة في اجره. فسلامة السـريحي ليست شأنا شخصيا بل قيمة ثقافية لأن حضوره يمنح المشهد اتزانه وصوته يعيد للمعنى هيبته وللنقد مكانته وللجمال لغته. سلامتك يا دكتور سعيد فالمحبة التي تحيط بك كفيلة بأن تعيدك إلى صحتك كما كنت ضوءا لا ينطفئ.

* صحيفة عكاظ

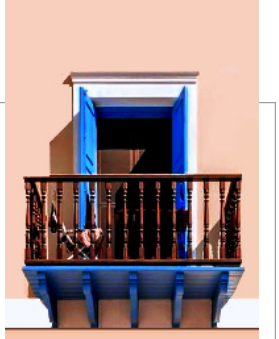

الملـف

شهـــادات

السريحي الذي وضع الصداقة في معناها، وارتوت معه من جميع صفاتها.

د. عبدالله الخطيب

الصداقة في العربية من الصدق، وفي بعض اللغات الأوروبية من الحب. حظي أصدقاء د. سعيد السريحي بصدقه، وبحبه في آن واحد. للسريحي قلب يتسع لكل البشر؛ ولأصدقائه مكانهم الخاص في هذا القلب الكبير. يعتني بالصديق عناية فائقة، يسأل عنه، يقف معه في الحضور، والغياب، والمحنة. يتضامن معه قولا وفعلا. يشعرُ الصديق معه بالحرية (التي تتيح له قول كل ما يرغب بقوله). يرى أن من واجب الصديق نحو صديقه أن يتقاسم معه جزءًا كبيرا من لحظات الحياة المفعمة بالجمال والإنسانية. يحب صديقه لذاته وليس لماديّاته. يعي أن الصداقة منزّهة عن النفعية وأنها لذاتها ولحد ذاتها.

في زمن خُدع كثير بأشباه الأصدقاء، لم يخطئ سعيد السريحي باختيار أصدقائه. يرى أن الصداقة نعمة، ومن الملذات الخالدة، وأنها فعل تشييد مستمر لا يستحقها إلا من اعتنى بظروف إنتاجها. يحمل أصدقاءه معه في أعماق قلبه ووجدانه. في كل لقاء مع الأصدقاء، يحرص -قدر ما يستطيع- على توجيه بوصلة الحوار في اتجاه الجمال ونمو الإنسان. يرى أن الصداقة (يجب) أن تتوجس من التشابه وتُعلي من الاختلاف الذي به تزدهر الأرواح، وتتمازج العقول، وبه تتم مساءلة منظومة القيم والنظرة للإنسان والوجود.

أسأل الله أن يرد لنا الصديق الغالي الدكتور سعيد السريحي ردًا جميلًا.

عن "نادي الفول" ولقاء بيت الشربتلي وأشياء أخرى.

ليلى سهل خاشقجي

وفاة زوجي العظيم ياسر نصيف، رحمه الله، لم تكن مجرّد محطة عابرة، بل رحلةُ تحوّلٍ عظيم... رحلةُ لحبّ يستمر بامتداد الروح لا بانقطاع الجسد. رحلة فتحت لي أبوابًا لقصصٍ مدهشة، وأرواحٍ نقية، وتجارب لم تكن لتحدث لــولا المحبة التي زرعها ياســر في كل طريقٍ مرّ به.

وأحدُ أبطال هذه القصص هو العم سعيد السريحي، شفاه الله وعافاه، وأذهبَ عنه البأس والضرّاء.

رجلٌ دخل حياتي بخيطٍ رفيعٍ من القدر... خيطٌ جمعني بالمعلم الملهم العم صالح بوقري، الذي عرّفني عليه، فصار حضوره امتدادًا لذلك الضوء الذي تركه ياســر في قلوب من عرفهم.

بــدأت حكايتي معه بقصة "نادي الفول" التي رواها لي العم صالح في أول لقاء لنا بعد وفاة ياســر؛ تلك الفكرة العفوية التي جمعت قاماتٍ أدبية وإنســانية عظيمة حول طبق فول، فصنعت بينهم صداقةً نادرة وحوارات شــفافة. ومن خلال تلك القصة فُتحت لي نافذة صغيرة على عالم العم سعيد، قبل أن ألتقيه وجهًا لوجه.

ثم جاء ذلك اللقاء في بيت الشربتلي...

لقاءٌ لا يُنسى. تحدّث عن جدةٍ لم أسمع بها من قبل؛ أخذنا في رحلة عبر التاريخ والروح واللغة، كان حديثه نافذة تُفتح على عمقٍ آخر، عمق لا يراه إلا من عاش المدينة بقلبه قبل أن يعيشــها بجسده. كان اللقاء

ننتظر دراسة تليق بفكره

صالح عبدالرحمن الصالح

لأنه أقام عليهم حجة الحداثة من خلال أبي تمام، والجرجاني (خاصة) وكتب (خارج الأقواس) استكثروا عليه أن ينال استحقاق (الدكتوراه) وقد نالها الكثيرون ممن هم أقل كعبا منه في تخصص النقد والأدب واللغة، وفصل الخطاب، ولم يتركوا بابا إلا طرقوه، حتى نالوا بغيتهم بسحب الشهادة ، وبذلك يظنون أنهم أسقطوا أهليته وما علموا أنهم زادوه رفعة ،

ولفتوا إليه تلاميذه وقراءه كناقد مختلف ، ظفرت بإبداعه الساحة الثقافية في المنابر خارج الجامعة وفي الأندية الأدبية وفي الصحافة ، وعرف به أقطاب النقد الأدبي في العالم العربي أكثر مما عرفوا بخصومه الذين بذلوا الجهد تلو الجهد للنيل منه .

سعيد مصلح السريحي ناقد كبير ، مبدع، مجدد، تحتل عنده اللغة مركز مقاربته للنص وإن كنت أذهب إلى أن ذلك بقدر ، بخلاف من يوغل ألسنيا في تجريد النص من بواعثه، سعيد السريحي، وكلنا في انتظار من يتجرد من طلابه الذين تلقوا عنه في الجامعة وحاوروه، وخبروه، وفهموا منهجه أن يتحفونا بدراسة أو ببحث يليق بفكره ونقده وأدبه ، فهو إلى جانب كونه أكاديميا وناقدا ودارسا وباحثا وصحفيا، شاعر لا أدري لماذا يقلل هو نفسه من قدر شاعريته. وهو ذواقة خبرته على سفر ، كما خبرته في الكثير من لقاءات مؤتمرات أنديتنا الأدبية السنوية في مناطق المملكة يوم أن كانت تجمعنا إدارات الأندية قبل ثلاثين عاما.

شهـــادات

في الجوف عام 1428، برفقة بعض الاصدقاء ومنهم: عواض العصيمي، سليمان الفليح رحمه الله، عبدالرحمن الدرعان، وعبدالله الصيخان

لحظة تأكيد أنني أمام رجلٍ يحمل لغةً تصنع صورًا، ومعرفةً تُشبه النور..

النور الذي لمسته في سطور ديوانه "لكِ النور" الذي جمعه صديقه الصدوق العم صالح..

وقبل دخوله المستشفى، قادني القدر إلى صوته عبر حواره في "أمشي مع ثمانية". حديثه عن الحياة والتحوّل والموت لامس قلبي؛ أعاد ترتيب حزني، وثبّت إحساسي بأن الموت ليس فناءً... بل انتقالٌ إلى هيئة أخرى من الوجود، تمامًا كما أعيش رحلتي اليوم مع ياسر، رحمه الله.

وهكذا صار العم سعيد جزءًا من حكاية بدأت بالفقد... لكنها امتلأت بالنور والمعرفة وصدق القلوب.

أسأل الله الكريم اللطيف أن يشفيه، ويعيده إلينا سالمًا، ويبلّغنا لقاؤه من جديد في محافل أجمل وأبهى، ننهل فيها من علمه، ونستنير بحكمته.

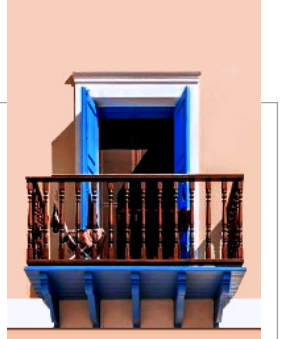

الملـف

شهـــادات

عن السريحي.. بل عن الثلاثاء الذي عاد يوماً من الأيام!

د. عادل خميس

هذا نوع من الرثاء، أكتبه نثراً، كان يفضّل نثري على شعري. قالها تلميحاً وتصريحاً، وأتفق معه. قال أشـياء كثيرة منذ عرفته، كثيرة جداً، وأتفق معه. أتفق معه حتى فيما أختلف معه. وأرثيه، رغـم أنه لم يمت بعد. لم يمت، ولن يموت. السريحي لا يموت؛ أخذ غفوة صغيرة، ربما تطول، وربما تدوم. وقـد يصحو، نعم قد يصحـو، لنجتمع في أبحر على عادتنا كل ثلاثاء، لنسخر من رثائي هذا، ونفككه بطريقتنا الخاصة، نتشعب في تفاصيل افتراضية، يمارس فيها التأويل -الذي نحب- على طريقته الخاصة، ونختلف.. نختلف.. حتى يحين موعد المغادرة، ويقرر حاسماً: نكمل اختلافنا الثلاثاء المقبل.

لـم يكن الثلاثاء فقـط؛ مؤخرًا كانت معظم الأيام. أعني بـ (مؤخراً) الاثني عشر عاماً الأخيرة، والمدن التي جبناها في كل اتجاه، والطرق التي سككناها بنقاشاتنا الطويلة مستظلين بصحبته، ومهتدين بالجميل الجليل من حكاياه. في آخر ثلاثاء التقينا كان نقاشنا ضارياً مع العصبة حول شؤون جمعية الأدب التي أصبح رئيس مجلس إدارتها، وحول مشروع أرادني أن أستلم دفته، وافقت بشرط، وحددنا أكثر من موعد. أخرجت هاتفي، وسجلت في التقويم موعدين: 1)....، 2)..... ولاحظت أن التقويم مليء بالمواعيد التي اقترفناها سوياً.

هناك موعد نهاية الشـهر، لمشروع عملنـا عليه طويلاً، وحان أن ينطلق، كان رئيس اللجنة الاستشارية. (لماذا أستخدم كان الناسخة اللعينة). هو -لا يزال- رئيس اللجنة الاستشـارية، وسيلقي كلمة في حفل تدشين المشروع كما اتفقنا، نحن لم نتفق، بل حددنا ماذا سيقول، وكيف سيقول ما سيقول. الآن -لن أكذب عليكم- أشك أنه سيقول أي شيء. وأشك أنه سيصمت؛ لـم يكن الصمت يوماً من مزاياه، هـذا ما أوقعه في كثير من المطبات خلال حياته. هو أمامي الآن، صامت مثل كنز. أسـأل الطبيب. لعله ولعلي... يجيبني: (وضعه حرج، ادعوا له). سنفعل! ثم ماذا!

في كتابي الأخير، كان أولَ الأجزاء جزء عنوانه (حياة السريحي: محطات ومطبات)، ضحك حين رأى العنوان أول مرة. وضحكت أنـا وأنا أرى تعليقه على الكتاب (عادل خميس وكتابه عن السريحي) في x، وفي الفيس بك. أي لعنة أن يكون آخر ما كتبه السـريحي تعليقاً عن كتاب لعادل خميس عن سعيد السـريحي. أي حظ عاثر، لو كان الأمر لي لطلبت منه -حين نلتقي الثلاثاء المقبل- أن يمسـح تعليقه من هنا وهناك، ومن كل مكان.

لكنّ الثلاثاء لن يأتي، هذا الثلاثاء أعني. الثلاثاء المهم، ثلاثاء السـريحي، الذي كان أهم أيام الأسـبوع، عاد ليصبح يوماً عادياً -رتيباً- كباقي الأيام. فقد أهميته، مثل وزير أعفي من منصبه، فعاد إنساناً كبقية البشر، وانفض من حوله الأصدقاء. كان الثلاثاء يعتقد أنه مهم، لكنه لم يكن كذلك.

في آخر ثلاثاء مهم، اتفقنا على أن يحضر توقيـع الكتاب -كتابي عنه- في معرض جدة للكتاب الشهر القادم، كنت أشك أنه سيفعل، الآن أشك أكثر. ولست أدري إن كان مخططنا لكتاب (التناص) لا يزال ممكناً، خططنـا له مع صديقنا عبدالله الخطيب؛ تجادلنا، وتجالدنا، وانتهينا إلى أن نكتب كتاباً من ثلاثة فصول. يكتب كل منا فصلاً من فصوله، هكذا اقترح السريحي؛ولطالما اقترح السريحي في ثلاثاتنا الخالدة. يقترح ويخطط وننفذ.

بقي مما خططنا له حفنة من مواعيد؛ رحلة خارجية، وجلسة نقدية في منتدى جدة، وزيارة خاصة لشخصية خاصة، اقترحها السريحي، أعجبتنا، ثم تراجع عنها، كان يفترض أن نعيد له صوابه فيعود إليها، أو يعيد لنا صوابنا فلا نعود نحن.

مواعيد أخرى هنا وهنا وهنـاك. ويح الوقت. لم أكن أعلم. كنت ساذجاً وأنا أسجل كل مواعيدي في التقويم على هاتفي، لم أكن أعني شـيئاً، كأن أتحدى القدر مثلاً، كنت أحاول أن أكون منظماً فقط. بوسعي أن أمحو كل مواعيدي التي يبدو السريحي طرفاً فيها. الثلاثاء.. الثلاثاء هو المشكلة فقط. لو أن أحداً يمحوه من أيام الأسبوع.. لو أن أحداً يجرؤ.

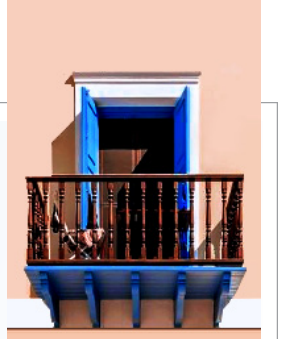

الملف

شهادات

ذكريات متوسطة السعودية وثانوية الشاطئ

شهـادات

نائل محمد سبانو

ارجـو اللّه القادر المقتدر ان يرفع الكرب عن زميل الدراسـة اخي وصديقي سـعيد السـريحي منذ المدرسة السعوديه المتوسطه في السـنه الاولى الاعداديه في عام 1967م، مع ذكريات مدرسـنا القدير آنذاك الاسـتاذ صالح العبداللّه المطوع رحمه اللّه ومديرها الاستاذ سليمان العقل رحمه اللّه ،، حتى تخرجنا من مدرسة ثانويه الشاطئ بجده ومديرها المربي الفاضل الاستاذ جميل عبدالجبار رحمه اللّه، حيث واجهنا بعدها مختلف مفارق الحياة ونسأل اللّه ان يرفع عنه ماهو فيه ويعافيه ويشفيه شفاء لا يغادر سقما ويعظم اجره في هذا الابتلاء المكتوب عليه ويعينه واهله وولده ومحبيه اجمعين.

رسالة الى المعلم في المرحلة الثانوية سعيد السريحي.

صالح بن سعيد المرزم باوزير

أستاذي القدير الدكتور سعيد السريحي .. السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته،
حيـن يُذكر العطاء، تُذكر معه تلك الوجوه التي تركت بصمتها في القلب قبل العقل، وفي الذاكرة قبل السـطور. وأنت يا أستاذي أحد تلك الوجوه التي صنعت في داخلي إنسانًا جديدًا، تفكيرًا، وذوقًا، ونظرة أعمق للحياة والمعرفة.
في المرحلة الثانوية — في تلك السـنّ التي يتشكّل فيها الوعي وتتفتح فيها الروح — كنتَ أنتَ نقطة التحوّل الكبرى. كنتَ معلّمًا، ومُلهمًا، وحاضرًا في أدق تفاصيل الرحلة. لم تكن مجرد أستاذ؛ كنت نافذة واسعة ألقيتُ منها نظرة مختلفة على العالم، نظرة أكثر اتزانًا وعمقًا ووعيًا.
وها أنا اليوم — وبعد سنوات — ما زلت أجد أثر كلماتك، وصدى أسلوبك، ونبل أخلاقك، في كل خطوة أخطوها وفي كل قرار أتخذه. وهذا إرث لا يصنعه إلا الكبار.. ولا يتركه إلا أصحاب الرسالة.
لقد بلغني بفرح كبير خبر تماثلك للشـفـاء — والحمد للّه على سـلامتك — وأحمده سبحانه أن لطف بك ورعـاك فـي تلك الوعكة الصحية. وأسـأل اللّه العظيم أن يجعل ما مررتَ به رفعـةً في الدرجات وكفارة للأوجاع، وأن يكتب لك دوام الصحة والعافية.
هذه الرسـالة يا أسـتاذي ليست إلا محاولة بسـيطة أمام مقامك الكبير، لكنها نابعة من القلب، ممزوجة بالامتنـان والمودة، ومحمّلة بالدعاء الصادق لك بـأن يمدّك اللّه بالقوة والعافية، وأن يبارك في عمرك، وأن يُديم عليك نور العلم الذي لطالما أنرتَ به عقول طلابك ومحبيك.
دمتَ بخير... ودام حضورك الجميل فينا وفي المشهد الثقافي، علماً وإلهاماً وإنسانية.

نكتب إليك بمحبة أبنائك وشركائك في هذه المسيرة العريقة.

سارة الزين*

في اللحظـات التي يختبر فيها المرء هشاشـة الجسـد، تتبدّى قوّة الروح، وتظهر حقيقة الأثر الذي يتركه الإنسان في من حوله. ولأنّ الحديث عن الدكتور سعيد السريحي يشبه الكتابة على صفحة ماء؛ رقّة لا تُمسّ وعمق لا يُدرَك، ومقامٌ لا يرقـى إليه إلا ذو حظٍّ عظيـم، فإنّ الكلمات مهما ازدانت، تظلّ أقلَّ من أن تصف هالته، أو تحتضن فعله الثقافيّ الكبير في الذائقة العربيّة.

عرفتُ الدكتور سـعيد السريحي قبل أن أعرفه شخصيًا؛ عرفته في لغته قبل صورته، وفي فكره قبل صوته. كان من أولئك الذين يضيئون الطريق من دون أن يتقدّموا الصفوف طلبًا للضوء، يسير بمهابةٍ وتواضع، حامـلًا صدق رؤاه ومقاصده الشريفة. كتاباته كانت دائمًا تفتح نافذةً على جمـال اللغة حين تتسـامى، وعلى جدل الفكر حين يرتقي، وعلى سكينة المثقّف حين يختار الحكمة مسكنًا ودربًا.

وقد حظينا في دار "مدارك" بعلاقة خاصّة مع الدكتور السـريحي، لم تكن مجرّد علاقة ناشر بمؤلف، بل علاقة صداقة معرفيّة، ومحبّة مهنيّة، وشراكة ثقافيّة نعتزّ بها. فقد احتضنت الدار أغلب كتبه، لكنّه هو من احتضن قيمتها، ومن منحها شرف أن تحمل اسـمه قبل أن تحمل عنوانها. كلّ إصدار يمرّ بين يديه كان يتحوّل إلى حوار داخليّ بين اللغة وذاتها، بين السؤال وإمكاناته، وبين الثقافة ومسؤوليّتها.

وفي مشهد ثقافيّ عربي يحتاج إلى من يصون ذائقته ويهذّب مساره، لعب الدكتور السريحي دورًا لا يُمحى. كان صوته هادئًا، لكنّه عميقُ الأثر. وكان حضوره متواضعًا، لكنّه وافر العطاء. حين يعتلي المنبر، كان يخطف الأسماع والأبصار، وإذا ما تكلّم، انساب من شفتيه تأريخٌ كامل ومعارف لا تتأتّى إلا لحصيف متمكّن وعارفٍ مطّلع. وفي زمن تميل فيه الخطابات إلى الضجيج، بقي هو يؤمن بأنّ الرأي بالرأي، والحجّة بالحجّة وأنّ الفكر لا يرفع صوته، بل يرفع قيمته.

أمّا على المسـتوى الإنسـانيّ، فـكان الدكتور السريحي دائمًا قريبًا، متفضّلًا، كريمًا في محبّته، وصادقًا في اهتمامه. لم يكن يتعامل معنا في "مدارك" كمؤسّسة، بل كبيت ثقافيّ، يزرع فيه بذور الفكر والحكمة والتأمّلات الفكريّة ويفتح فيه جسرًا للعبور الإنسانيّ والأخلاقيّ والفكريّ مع الآخر. وكان يحيطنا بنبلٍ يشبهه، وطمأنينة لا يملكها إلا الكبار، وسكينة ظلّلت ترافقه، وابتسامةٍ لا تفارقه.

وفي هـذا الظرف الصحي الـذي يمرّ به، ندعو الله أن يتلطّف به، ويهب قلبه قوّةً تليق بقلبٍ حمل الثقافة العربية سنين طويلة بمحبة نادرة ووعي عميق. نكتب إليه اليوم لا بصفةٍ مهنيّة، بل بمحبة أبنائه وتلاميذه وشـركائه في هذه المسـيرة العريقة. نكتب إليه ليعرف أنّه فينا، وأنّ حضوره ثابت مهمـا غاب، وأنّ أثره ممتدّ مهما ابتعد.

يا أبا إقبال... نسأل الله لك عافيةً تعود بها إلى قرّائك ومحبّيك، وإلى دارك التي اشتاقت حروفها إلى قلمك. ولتعد كما عرفناك: ثابتًا في رؤيتك، رحيمًا في إنسـانيّتك، فارقًا في أثرك. ولينعم قلبك بعافية تُشـبِه نقاءك، وتليق برجلٍ حمل الثقافة بيدٍ، والحكمة بالأخرى، ومضى بينهما بطمأنينة الذين يعرفون قيمة ما يفعلون.

تقبّل منّا قلوبنا التي تفيض محبّة وتقديرًا،

*مدير عام دار مدارك للنشر

السريحي بريشة الحبارة «لوحة خاصة بشرفات»

يوقظ الوعي ويشعل الدهشة.

أمين الحبارة*

الدكتور سعيد السريحي يمارس النقد بوصفه سؤالًا مفتوحًا لا بوابةً للحكم.

يرى أن النص لا يكتمـل إلا بقراءة تهزّ ثباته وتكشف ما يختبئ خلف لغته.

في مشـروعه النقدي يضع السريحي القارئ أمام مسؤوليته: أن يفكّر لا أن يسلّم.

يستدرج النص إلى حواره، ويمنحه فرصة القول ثم يعيد تشكيل المعنى من جديد.

وهكذا يتحوّل النقد لديه من ممارسة وصفية إلى فعل يوقظ الوعي ويشعل مكامن الدهشة.

*فنان تشكيلي ورسام كاريكاتير فاز مؤخرا بالجائزة الأولى في مسابقة سيريتو دي فينو الدولية للكاريكاتير في إيطاليا.

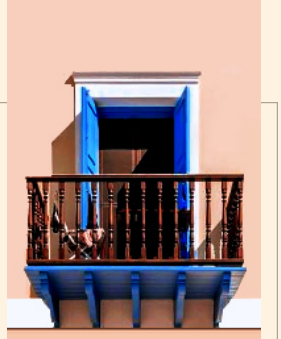

شرفة الهديل

في مديحِ سادةِ الترجمة (2-2):

سرب طويل من الضوء.

عبدالمحسن يوسف

في كل مناسبةٍ تخصُّ الترجمة، أرفعُ عاليًا « غترتي» و « عقالي» تحيةً لسربٍ طويلٍ من المترجمين المبدعين الذين يسكنون القلبَ والذاكرة، العاشقين للغة العربية وللأدب الجميل وللإبداع الحيّ في العالم الذين اشتغلوا بدأبٍ على إثراءِ الوجدان، وصقلوا الذائقةَ وأضافوا وردًا كثيرًا فاتنًا لحديقةِ الروح .. هنا إضاءاتٌ يسيرةٌ عن عددٍ من هؤلاء المقمرين.

5 - بسَّام حجار

يسـكنني عميقًا الشـاعر المبـدع والمترجم ذو اللغـة الرهيفـة بسـام حجار الـذي رحل عـن عالمنا في العـام 2009 ، تاركًا في درج مكتبـه مخطوطة لرواية " أزاهيـر الخراب " لباتريـك موديانـو ، وهـي آخـر عمـل قام بترجمته..أمـا آخر رواية مـن الروايات التي قرأتهـا مترجمـةً بحبره الفاتـن وكانت في غايـة الجمـال رغم قصرهـا ، فهـي رواية " مـا يبقى " للألمانية المدهشـة كريسـتا فولف .

هنـا أتذكـره لأقـول : يرحـل المنتجـون المخلصـون للإبـداع الجميـل فيمـا أثرهم العميـق الجليل يبقى في القلـب والوجدان والذاكـرة والزمن .. أقول قولـي هذا ؛ لأني مدينٌ لبسـام الذي فتح الكثيـر من النوافذ علـى الضفـاف الأخـرى كي نقرأ ونسـتمتع ونعيـش حيـواتٍ ممتعـةً مـا كان لنـا أن ندركهـا لـولا ترجمتـه المميزة..

هـذا المخلـصُ لـلأدب الجميل أبـدعَ كثيرًا وهـو ينقـل إلـى العربيـة مثـلًا روايـةَ " سـرب طيـور بيضـاء " ، رائعـة الروائـي اليابانـي ياسـوناري كواباتـا الحاصل على جائـزة نوبـل فـي العـام 1968 ، إنهـا من أجمـل الروايـات التـي قرأتها..وفـي هـذا السـياق ، أذكـر أننـي ذات مسـاءٍ هـادئ امتحنـتُ ذاكرتـي قليـلًا ، وإذْ بي أسـتعيدُ باقةً مدهشـةً مـن الروايات التـي ترجمها بسـام حجـار ، لفـرط جمالهـا ابتسـمتُ بمحبّـة ، وقلتُ لنفسـي هامسًـا : إنها حقًّا تأخـذ العقـل ؛ كأنه هـو الـذي كتبها..من تلـك الأعمـال السـردية التي لم تمسسـها قـوارضُ النسـيان : " جبل الروح " ، " لبس " ، " أمـس " ، " غرفـة مثالية لرجلٍ مريض " ، " قطـارات تحـت الحراسـة المشـدّدة ".

6 - عبدالوهاب أبوزيد

هـادئٌ كالنسـائم ، وصامـتٌ كالظـلال ، ومنتـجٌ كالحقـول ، هـذه هي أبـرز صفات صديقنـا الشـاعر والمترجـم عبدالوهـاب أبوزيد.كثيـرون هـم الذين يتقنـون لغاتٍ في سـاحتِنا الثقافية ، فـي كلِّ لقاءٍ لنا بهم فـي مقهـى أو عرسٍ أو مجلـسٍ في عزاء لا نسـمعُ منهـم سـوى الجعجعةِ الوافـرة ، و لكـن لا نرى لهم طحينًا ناصعًـا أبدًا ..وحيدًا أضـافَ هـذا الهـادئُ ، الصامـتُ ، الرصينُ ، الوقـورُ - بترجماتـه - إلى حـوضِ نعناعِنا الكثيـرَ مـن الـوردِ والجميـلَ مـن الحَبَـق. الصديق الشـاعر والمترجـم عبدالوهاب أبو زيـد - ابـن مدينة الهفـوف فـي المنطقة الشرقية - يستحق الإشـادة ، والمحبة ، وأن نرفـع له " الشـماغ " عاليًا تقديـرًا واحترامًا لمـا يبذلـه من جهـود مضنيـة وراقية في حقـل الترجمة..ويسـعدني هنـا أن أذكـر عـددًا من الكتب التي قـام بترجمتها بحبره الفاتـن، مثل كتاب " خزانـة " وهو مختارات من الشعر السنسـكريتي ، و " في معنى أن نمـوت " مذكـرات كـوري تايلر ، و " عسـل الغيـاب " للشـاعر الأمريكي مارك سـتراند، و " مثـل آدم فـي جنتـه " للأمريكيـة ماري أوليفـر، و " شـخصيات لا تُنسـى " لليندا سـينغر..كما أنفق ضـوء عينيه على ترجمة كتـاب بعنـوان " أخبـار الأيـام " - مذكرات المغنـي الشـهير "بوب ديـلان " الذي كتب أغانيه بنفسـه طـوال خمسـين عامًا والذي رفـض جائزة نوبل في العـام 2016 (عندما أخبروه بـأن اللجنة السـويدية على الهاتف لتهنئتـه بفـوزه بالجائزة قـال : قولوا لهم إننـي نائم وغـرق ثانيـةً في سـباتٍ عميق) .. بـوب ـ كمـا جـاء فـي تعريـف صديقنا المترجـم - مغـنٍّ وملحـنٌ وشـاعرٌ وفنـانٌ أمريكـي ، وهـو أيضًـا شـخصية مؤثرة في الموسـيقى والثقافـة الشـعبية الأمريكيـة .. يتجلّـى فـي كلمـات أغانيـه الكثيـر من الحكمة والاحتجاج ، مـا دفع حركات الحقوق المدنيـة للأفارقـة الأمريكييـن والحركـة المناهضـة لحـرب فيتنـام إلـى اسـتخدام بعـض اغانيـه كأناشـيد لهـم ..عُـرفَ عن ديلان أنه أفـاد كثيرًا في كتابـة أغانيه من المبدعيـن الكبار أمثال إليـوت ، وإدغار آلان بـو ، وبودلير ، وهوغو ، وبلـزاك ، وغوغول ، وتشـيخوف ... لـه سـتة كتـب ، وبيع من اسـطواناته أكثـر مـن مئـة مليون نسـخة فـي جميـع أنحاء العالـم ، كمـا حصل على 11 جائـزة غرامـي وجائزة أوسـكار وجائزة غولدن غلـوب وأخيـرًا جائزة نوبـل للآداب عام 2016...

أخيـرًا أقـول: بسـتان كامـل مـن الـورد يسـتحقه الصديـق الجميـل عبدالوهـاب ابـو زيـد لترجمة هـذه الكتـب الرائعة التي تثـري المكتبة العربية ، كمـا تثري الوجدان وتسـمو بالذائقـة.

7 - عبدالكريم كاصد

لأنـه شـاعرٌ مبـدعٌ ويكتـبُ شـعرًا صافيًا ، تأتـي ترجمتُـهُ لشـعراء " الضفـاف الأخرى " عذبـةً وصافية..لقـد صقلَتْ حبـرَهُ الأيامُ ، كمـا شـذَّبَتْ تجربتُـهُ الطويلـةُ فـي حقل الكتابة الشـعرية تلـك الزوائدَ التي قد تطلُّ برأسـها فـي فضـاءِ النـصِّ الـذي يعكفُ علـى ترجمتِـهِ ، كما شـذبَتْ التفاصيلَ التي لا قيمـة فنيـة حقيقيـة لها..لقـد صَيَّرتْـهُ التجربـةُ " بسـتانيًا " بارعًـا فـي اجتثـاثِ الأعشـابِ التـي تتطفـلُ علـى جماليـات البسـتان ، وتشـوّهُ حُسْـنَ الأشـجارِ التـي يصطفيها. عبدالكريـم كاصـد حين يعكفُ علـى ترجمةِ نصٍّ شـعريٍّ يتحـوّلُ فعلًا إلى بسـتانيٍّ حصيـف ، يعاملُ القصائـدَ كما لو كانتْ أشـجارًا يليقُ بهـا أنْ تتبرّج ، ويحرص علـى تشـذيبِ زوائدِها كي تمـارسَ فتنتَها كما ينبغـي لحسـناءٍ أنيقة.

عندمـا قـرأتُ ترجمـة كاصـد لخمسـين قصيـدة مـن ديـوان " كلمـات " لجـاك بريفيـر، وجـدتُ أنَّ كاصـدًا كان مقتصـدًا فعـلًا فـي لغتـه وهو يترجـمُ قصائـد هذا الأخيـر ، فضلًا عن تميز هذه اللغة ؛ لسـببٍ بسـيطٍ هو أنَّ كاصدًا شـاعرٌ مبـدع ،وليس مترجمًـا موظَّفًا في أحـدِ دكاكين الترجمة.. يظهـرُ ذلـك جليًـا فـي مفرداتـه وعباراته المختـارة بعنايـة ، حيـث جـاءتْ لغتُـهُ منسـجمةً مع تلك الـروح التـي يتطلبها أيُّ عملٍ شـعريٍّ خلَّاق ، فما بالـكَ إذا كان ذلك العملُ الشـعريُّ لجـاك بريفير الـذي يقولُ عنـه عبدالكريم قاصد نفسُـهُ فـي مقدمة الطبعـة الأولى الصـادرة عن دار ابن رشـد

بيروت في العام 1981 : " ما مِنْ شاعرٍ أكثر اقتصادًا من بريفير في صوره "..ويضيف : " في هذا الشعر ليس ثمة تكرار ، غير تكرار الرؤيةِ الثاقبة، والانفعال العميق للواقع "، وينهي كلامَهُ قائلًا : " لقد آثرنا في ترجمتنا هذه أنْ نقتربَ من نبضِ شعرِ بريفير وروحِهِ التي تشيعُ في شعره ".

أخيرًا أقول : إن مفردات كاصد حين يترجم قصائد الآخرين تنتمي إلى العائلة الشعرية حيث الصفاء والرقة والعذوبة.

8 - فوزي كريم

حدث هذا قبل سنوات ..عثرتُ على " إيميله " صدفةً وتواصلتُ معه على الفور ..العجيب هو إنني لم أتردد هذه المرة فمن عادتي التردد والحذر في تعاملي مع الكتّاب المشهورين في عالمنا العربي ـ أكثر هؤلاء ينطبق عليهم هذا المثل " سماعك بالمعيدي خيرٌ من أن تراه " ، وأضيف من عندي " وخيرٌ من أن تتواصل معه "ـ المهم كتبتُ له رسالة مقتضبة بصفتي " قارئًا " معجبًا بشعره وترجمته وبرنامجه عن الموسيقى الذي كان يقدمه عبر إذاعة mbcfm ، وذكرت له عددًا من عناوين كتبه التي قرأتها ..بعد دقائق جاءني الرد مليئًا بالمحبة والدفء والتواضع .. بعد ذلك بأيام أرسلتُ له مقالًا كنت قد كتبته عنه ـ منذ سنوات ـ في صفحة " الوجوه " بعكاظ الأسبوعية ..ردَّ مندهشًا : " كيف كتبتَ عني بكل هذه المحبة وأنت لا تعرفني ؟ " ..أجبته : " إنني أعرفك جيدًا ، أعرفك من نصوصك يا سيدي " ، وأضفت : " لقد كتبت ـ منذ سنوات أيضًا ـ عن أعمالك الكاملة الصادرة عن دار المدى إضاءةً طويلة نشرتها على صفحة كاملة في عكاظ " ..ذُهِلَ الرجل وطلب مني إرسال تلك الإضاءة ..أرسلتها ، لكنه لم يرد ، ظننت حينها أن الكتابة لم ترقْ له ولزمتُ الصمت .. بعد أسبوعين تقريبًا فوجئتُ به يكتب لي رسالةً طالعةً من القلب مكتوبة بحبرِ شاعرٍ حقيقيٍّ وإنسانٍ حقيقيّ يعتذرُ فيها بطيبة نادرة عن تأخره في الرد لأنه كان مسافرًا خارج لندن ، ويستأذنني في نشر المقالة الطويلة في كتابٍ كان يجمع مادته و يعمل عليه أحد أصدقائه من الكتّاب العراقيين...حينما كتبت مقالةً طويلةً بعنوان " عندما يثأر أدونيس من الأموات " ـ نُشِرَتْ في صحيفة " الحياة " اللندنية ـ فوجئتُ برسالةٍ منه تقول : " لقد أثلجتَ صدري " ..بعد ذلك توطدت علاقتي به وظلَّ يحثني بمحبّةٍ نادرة على إصدار دواويني المؤجلة قائلًا : " طربتُ لتجربتك يا محسن " ..إنه الشاعر والناقد والمترجم والرسام والخبير بالموسيقى العالمية العراقي الجميل فوزي كريم الذي رحلَ عن عالمنا جزَاء توقف قلبه العامر بالحب والجمال.

9 - توفيق صايغ

ويبقى الشاعر توفيق صايغ ـ صاحب " قصيدة كاف " الشهيرة ـ متفردًا في ترجمته لخمسين قصيدة من الشعر الأمريكي الحديث .. التي جمعها في كتاب صدرت الطبعة الأولى منه في العام 1963م ، فيما صدرت الطبعة الثانية في لندن في العام 1990م في مجلد فاخر أنيق عن دار " رياض الريّس". إن الشاعر صايغ (المتخصص في الأدبين العربي والإنجليزي ، والمتخرج في جامعتي هارفارد وأكسفورد) نأى في مشروعه هذا عن الترجمة الحرفية التي تتوخى الأمانة لنقل صورة صادقة لحال الشعر الأمريكي ، كما نأى عن الترجمة الخلاقة التي تترجم القصيدة لا أبياتها وتصوغ الأصل من جديد وتعدّل في ترتيب المقاطع .لقد اختار " الحل الوسط " لكي تكون ترجمته قريبة من الأصل الإنجليزي ـ أو بالأحرى الأمريكي ـ يقول توفيق : " حاولت فيها أيضًا أن تكون عربية وأن تعطي القارئ العربي ما شاء الشاعر الأصلي أن يعطي قارئه " .. ويضيف : " حرصت أن تكون الترجمة ترجمة ، لا تعليقًا ولا توضيحًا ، حتى في المواضع الصعبة المبهمة " ..ولقد جاءت ترجمته منحازة للجمال.

عبدالوهاب أبوزيد

10 - جمال الجلاصي

جمال الجلاصي ، الشقيق ، الإنسان ، المبدع ، مهرب الجمال البارع ، يستحق منا تحية عالية كرايةٍ في سماء نصر ، أو كزغرودة في بيتِ فرح ...رغم أنف المسافات ، يمكث جمال في القلب ، بروحه المرحة ، بلطفه الذي لا يحد ، بثقافته العريضة ، وبدأبه العجيب على القراءة المميزة والكتابة المبدعة والترجمة التي لا تضاهي...

هنا جزء يسير من سيرته المليئة ، كما كتبها هو :

(ولدت فجر يوم قائظ في البيت القبلي من منزلنا في حومة "القطب" جدي عمر رحمه الله في قليبية. أمي لم تكن تعيش لها الذكور فنصحتها خالتي الشاذلية القابلة أن تثقب أذني اليمنى ..فجئت. كان أبي قد وعد أن يذبح كبشًا ويوزعه على الفقراء إن ولدت آسيا ذكرًا ويعيش لسنة واحدة...

عشت في حومة محاطًا بحنان النساء... منحتني النساء محبة لا تُحد، ومنحني الذكور الغلظة والشدّة... عشت في حومتنا، لا فرق بين منزلنا ومنزل الجيران، فهم اخوالي وخالتي... لا غريب بيننا... كبرت على غناء أمّي "بابا لتّا وبابا لتا وما صابلي من زيّك ستة"... كبرت مدّللا كأيّ ذكر وُلد بعد شوق، كبرت مع أتراب كثيرين، لكنّي كنت أكثرهم نزقا وشيطنة... أغادر الحيّ إلى الأحياء الأخرى بحثًا عن منافسين في لعب "الكجة" أو الخذروف "الكلوط"... واكتشفت الوديان البعيدة التي أقصدها محمّلا بكتاب وقارورة ماء... وسبحت في البحر في كل المواسم وفي كل يوم من أيام السنة وقفزت في الآبار العميقة وصعدت غلى البرج الأثري بمفردي محاولا اكتشاف أسراره...

كبرت مع معلّمين منهم مثلًا خالي رضا الذي أهداني الكتب وهداني إلى طريق المكتبة العمومية... لعبت كرة القدم وكرة الطائرة والجمباز، وكوّنت فرقة رقص عصري مازلت أذكرها إلى الآن...ثم أكلني الأدب وافتكّني من كل شيء...

ثم عرفت روضة، زوجتي التي منحتني من الحب ما لم تمنحنيه كل النساء مجتمعات، ذلك الحب الأمومي المغذّي الذي يدفع وينمّي الروح. رغم الخلافات واختلاف وجهات النظر، فإن الحبّ ظل صامدًا.

بلغت اليوم نصف قرن مع أربعة أعوام إضافية، ولا زلت ذلك الطفل النزق الشقي الباحث عن البهجة البسيطة، ذلك الطفل الذي يفرح لفرح الناس ويحزن لحزنهم.

أحلم أن أهرّب أرواحاً شقيقة بعيدة وان أنهي رباعيّة روائية لتاريخ تونس...أحلم أن أظلّ أحلم إلى آخر يوم في حياتي).

و هنا تذكير يسير بمنجزات الأستاذ جمال في مجال الترجمة : السيد الرئيس لاستورياس ، إضراب الشحاذين ، الأعمال الشعرية الكاملة لليوبولد سيدار سنغور ، كراس العودة إلى أرض الوطن لإيمي سيزير ، الحزينة لكارلوس فونتيس ، الانفصال لدان فرانك ، مختارات من الشّعر الفرنسي القرن السّادس عشر ، مختارات شعريّة لأفريد دي فينييه ، مختارات شعريّة لشعراء العصر الباروكي.

11 - محمد آيت حنّا

لقد كنتُ في غفلةٍ عن المترجم الفذ محمد آيت حنّا (كاتب مغربي ، مهتم بالفلسفة والأدب) حتى قرأتُ ترجمته الجميلة الصافية لكتاب " الأميّة " ، سيرة الروائية المجرية المبدعة أغوتا كريستوف .. بصدقٍ أقول : إنه مترجمٌ بارعٌ ذكّرني بالمترجم العذب بسّام حجّار ذي اللغةِ النقيّةِ الجليلةِ الصافية .. لغة " حنّا " حرضتني على مطاردة الأعمال السردية الأخرى لأغوتا كريستوف.

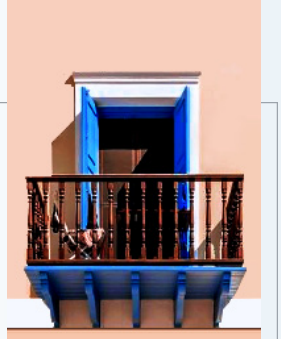

حديث الكتب

عن كتاب «ما وراء الأغلفة، روائع القرن العشرين»..

إبراهيم زولي يعيد إلى الذاكرة صخب النقاشات الأولى.

محمد حبيبي

وأنا أفتح مغلف كتاب "ما وراء الأغلفة، روائع القرن العشرين" للصديق ورفيق الدرب أ.إبراهيم زولي، ولحظة مصافحة عيني لخط يده المميز جدا الذي كتب به إهداءه الكريم، تداعت أشياء كثيرة من الذاكرة. هذا الخط الأثير ذو الخصوصية في رسم حروفه ،حيث إبراهيم يكتب خلاف معظمنا بيسراه المميزة، عاد بي خطه لعشرات أوراق العمل والقصائد والرسائل التي طالما تبادلناها بخط اليد، قبل أن نعرف أجهزة الحاسوب والجوالات التي ساوت كل ملامح الخطوط؛ فلم تعد للأحبار متعة لوثاتها الأولى، ولا لأشكال الخطوط ملامح تمايزها..

اجتزت الإهداء إلى متن الكتاب بداية من المقدمة، أقرأ وعبثا أحاول تحييد صورة إبراهيم المنطبعة في ذهني منذ بداية التعلق بالكتب والشغف بها، أجهد في تنحية طريقته في رسم محبته وتعلقه الشديد بما يتحدث عنه بكل ملامح جسده، وجهه، عينيه، يديه، نبرات صوته... وكأنه يتحدث عن نفسه ، وليس عن آخر سواء أكان كتاباً أم مؤلفاً أديبا شاعرا أم ساردا أم ناقداً أم مفكرا.

لماذا اختار زولي هذه الكتب ؟! يجيب في مقدمته:

"لنستكشف معا كيف شكلت هذه الأعمال وعي العالم، وكيف لا تزال تتردد أصداؤها في أذهاننا حتى اليوم، لماذا هذه الأعمال بالذات وما الذي يجعلها تستحق القراءة، لانها ليست مجرد كتب بل هي نوافذ مفتوحة، على عوالم مختلفة، وجسور تربط بين الشرق والغرب والأدب والفلسفة، والفرد والمجتمع، والحلم والواقع"

من ثم ابتدأ يسرد "زولي" بعض هذه الكتب في مقدمته بإشارات لماحة.

أما متن الكتاب فقد استهله بكتاب "تفسير الأحلام" لفرويد، فرواية "الأم" لمكسيم جوركي، و"زينب" لهيكل، لتتوالى وقفاته أمام باقي الكتب الثلاثين المتنوعة رواية، وشعرا،ونقدا، وفكرا، وفلسفة..

يعطي لمحة عن الكتاب وأهميته والجوانب المؤثرة من محتواه، وسيرة الكاتب، وأصداء العمل وقيمته.

حاول إبراهيم أن يقدم موازنة داخل هذه القائمة محليا وعربيا وعالميا.

طيلة استمتاعي بالكتاب، لم أستطع تحييد ذاكرتي أثناء القراءة. فهو يتحدث عن كتب يعيدنا معها إلى لحظات الفرح والبهجة بوصولها إلى أيدينا، ولكل منها قصص وأطياف ذكريات أثناء قراءتها الأولى.. فالكثير من هذه الكتب طالما تحدثنا عنها وتبادلناها وعدد منها لم يكن متوفرا لنا في أصله الذي خرج به من مطبعته.. بل نسخته المصورة في تلك الفترة حين كان العثور على النسخة منها بمثابة العثور على كنز.

وأجزم أن تخوف إبراهيم من تضخم الكتاب هو ما دفعه إلى تقليص القائمة إلى الكتب الأكثر أهمية وتأثيرا فوصل الكتاب إلى 167 صفحة.

وإلا فثمة كتب مهمة ومرتبطة بتشكلنا ووجداننا وقد يكون هذا هو الباعث الرئيس الذي حرض "زولي" على إخراج هذا الكتاب. مازلت استحضر صخب النقاشات عنها مما احتواه كتاب زولي وما لم يتسع له متن كتابه. منها دواوين دار العودة ذات الأغلفة المجلدة الحمراء، ودواوين محمود درويش، وسعدي يوسف، وأمل دنقل، ووديع سعادة، و"رياح المواقع" للدميني و"التضاريس" للثبيتي، ودواوين سيف الرحبي، وقاسم حداد، والجواهري، والبردوني، وأعمال "لوركا" وروايات "ا لبحث عن وليد مسعود" و"سمرقند وليون الإفريقي" و"حين تركنا الجسر"، وجسر على نهر دارينا، و"داغستان بلدي" وروايات "العطر" و"الحمامة" و"الفراشة" و"الحب في زمن الكوليرا" وروايات دوستوفيسكي "الإخوة كرامازوف" و"الجريمة والعقاب" وسلسة "تكوين العقل العربي" للجابري، ومراجعات جورج طرابيشي لها، و"نزعة الأنسنة في الفكر العربي لمحمد أركون" وغيرها.

لا أدري لم أعادني كتاب الصديق إبراهيم زولي الأخير هذا إلى كل هذه الذكريات مع الكتب. وكأنه أعاد بث الحياة فيها منذ أن ظلت محنطة في ممرات الذاكرة.

حتى لحظة فتحي للظرف الذي احتوى نسختي أعادتني لتلك اللحظات التي استقبلنا فيها أول كتبنا ولامسناها؛ وكأنها أجنة تتحرك بين أيدينا بصرخات استهلالها وأفواهنا التي ظلت مفتوحة محتفظة بالدهشة الأولى..

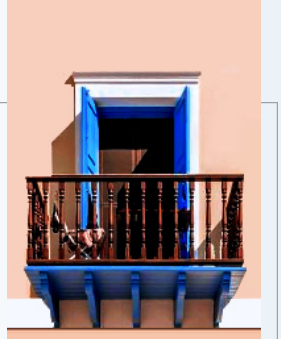

مقـــال

عبدالفتاح كيليطو:

عينٌ على التراث بعدسةٍ معاصرة.

إبراهيم زولي

في مشهد النقد العربي اليوم، يتقدّم المغربي عبدالفتاح كيليطو (1945–) بصفته واحدًا من قلائل حوّلوا التراث من «أثر» يُعرض في المتاحف إلى «أفق» يُعاد فتحه للقراءة. لم يكتفِ باستعادة الماضي، بل أعاد تركيب علاقته بالحاضر، فأزاح سوء الفهم الذي طال النصوص القديمة، واقترح لها لغتها الثانية: لغة قارئ معاصر لا يساوم على الدقّة، ولا يتنازل عن لذّة الاكتشاف.

مسارٌ يتخطّى القطيعة

على الرغم من تكوينه الأكاديمي في الأدب الفرنسي، انجذب كيليطو إلى العربية الكلاسيكية بوصفها مرآةً لوحدة القراءة عبر الأزمنة. يروي في أحد حواراته أنّ «قطيعة» حدثت بين الأدب العربي القديم والحديث، وأن قراءته للتراث كانت «صدمةً إيجابية» كشفت له عالمًا مجاورًا ومجهولًا في آن. تلك الشرارة أطلقت مشروع صاحب «العين والإبرة»: إعادة اكتشاف نصوصنا العتيقة وإعادة تقديمها خارج الصور النمطية والأحكام المعلّبة، بوصفها مختبرًا للأسئلة لا مخزنًا للشواهد.

بين لغتين... وعالمين

يقف مؤلف «الكتابة والتناسخ» عند تقاطع خبرتين: عُدّة نقدية غربية صقلتها الفرنسية، ومعرفة دقيقة بالموروث العربي. هذا التموضع الهجين لا يخلخل الهوية، بل يوسّعها. لذا بدا عنوان كتابه الذي ترجمه عبدالسلام بنعبد العالي «أتكلم جميع اللغات، لكن بالعربية» تلخيصًا لسؤالٍ جوهري: كيف يُصغي المثقف العربي إلى الآخر من دون أن يبدّد صوته؟ وكيف يعود إلى تراثه من نافذة الحوار لا من متراس المفاصلة؟ في مقالاته تتجاور أمثلة من الجاحظ وابن حزم مع كافكا ورولان بارت في الصفحة نفسها، ليبرهن أن النصوص الكبرى لا تعترف بحدود الجغرافيا ولا بحُرّاس الأجناس.

قراءةٌ جديدة للنص القديم

لا يقف صاحب «لسان آدم» و*«الأدب والغرابة»* عند ظاهر النص. إنه يغوص إلى طبقاته الصامتة، فيُسمع ما خَفَت. كتب عن الجاحظ، وابن حزم، والأصفهاني، وأبي حيّان التوحيدي، والمعرّي، وابن رشد، بالعمق نفسه الذي قارب به نيتشه وكافكا وسارتر وفولتير وسان جون بيرس. في «العين والإبرة» يعيد قراءة «ألف ليلة وليلة» خارج القوالب الاستشراقية، كاشفًا ديناميات الحكي وطرائق التلقّي، ومبيّنًا كيف ينتج النص قارئه مثلما ينتج القارئ نصّه. وفي «الأدب والغرابة»—كما لاحظ عبدالكبير الخطيبي—يمارس نقده بـ«مكرٍ نادر»، مستفيدًا من مناهج حديثة من غير أن يدعها تتسيّد على النص أو تُخضِعه لقوالب جاهزة.

كتابةٌ تتخفّف من الاستعراض

ما يميّز كيليطو ليس الموضوعات فحسب، بل الكيفية. يناقش المثاقفة والترجمة والسردية والشعرية بعبارات شفيفة، متحرّرًا من حُمّى الاصطلاح. وقد أحال مرّةً إلى مقولة ديدرو: «أنا لا أكتب كتبًا، بل صفحات»؛ أي إنه يبدأ من شرارات وأسئلة تتبلور لاحقًا في كتاب، حيث تتجاور المقالة والهوامش والحكاية النظرية في نسقٍ واحد. تُرى في أسلوبه جملٌ محكمة، واستعارات قليلة ولكن فاعلة، وميلٌ إلى السؤال لا إلى الخاتمة المطمئنة؛ لذلك يخرج قارئه وفي يده مفاتيح لا وصفات، وفي ذهنه احتمالات لا أحكام نهائية.

الترجمة امتحانٌ للغة الأم

لا يتعامل كيليطو مع الترجمة كقناة عبور فقط، بل كاختبارٍ لقدرة العربية على توسيع مداركها. فالترجمة عنده تفكّر في اللغة وهي تعمل: تُخطئ وتُصيب، وتولّد مكافئًا دلاليًا لا نسخةً مطابقة. ومن هنا تتجاور لديه معرفة البلاغة القديمة بفنون السرد الحديثة؛ فتغدو «المقامات» أختًا بعيدة للرواية، ويغدو «كتاب الأغاني» أرشيفًا حيًا للحكاية والأداء، لا مجرّد موسوعة.

أثرٌ يتجاوز الرف

لا يُقاس مشروع كيليطو بعدد كتبه وحده، بل بالأثر الذي تركه في أجيال من القرّاء والباحثين. صار كثيرون يقتربون من النصوص الأولى بثقةٍ أكبر وإحساس نقدي أعلى: من رسائل إخوان الصفا إلى شعر المعرّي، ومن «البيان والتبيين» إلى شذرات المتصوّفة. أسهمت قراءاته في تحديث طرائق تدريس الأدب العربي، إذ دفعت إلى التعامل مع النصوص بوصفها حقولًا للتأويل، وإلى تحويل الهامش إلى ساحة حوار، لا متراس حواشٍ يصدّ القارئ عن المتن.

مصالحة بلا قداسةٍ ولا قطيعة

يتعامل كيليطو مع التراث كنصّ حيّ: لا يُؤلّه ولا يُستبعَد. إنّه يدعونا إلى قراءته بعيون اليوم—عيونٍ تفكّك وتستمتع معًا—متجاوزًا ثنائيات قديم/حديث، شرق/غرب، أصالة/معاصرة. يقدم مثالًا لقراءةٍ عادلة تُنصف الماضي من دون أن تجمد فيه، وتختبر الحاضر من دون أن تستسلم لسلطته. بهذه الروح يتبدّى التراث لا كواجهة حجرية، بل كورشة مفتوحة تتبدّل بتبدّل قارئها، ويغدو سؤال الهوية جزءًا من دينامية المعنى لا سوره.

تكريم يليق بالمشروع

حين منحت جائزة الملك فيصل كيليطو عام 2023 فرع اللغة العربية والأدب موضوع «السرد العربي القديم والنظريات الحديثة»، بدا التكريم امتدادًا طبيعيًا لمسارٍ أعاد صوغ علاقتنا بالموروث. لم يكن الأمر احتفاءً بإنجاز فردي فحسب، بل إشارةً إلى قيمة القراءة التي تُعيد إلى التراث وظيفته الحيوية: أن يكون مرجعًا للتفكير لا متحفًا للعرض. كما ذكّرنا بأن المشروع لا يكتمل بخاتمة؛ فكل جيل محتاجٌ إلى أن يعيد قراءة أرشيفه بنظرٍ جديد، وأن يضع أسئلته في قلب النص لا على هامشه.

القريب الذي نظنّه بعيدًا

يلخّص كيليطو روحه بشذرةٍ جعلها عنوانًا لأحد كتبه من يوميات كافكا: «من نبحث عنه بعيدًا يقطن قربنا». ما نفتّش عنه من ثراءٍ وعمقٍ قد يقيم في نصوصنا الأولى؛ كلّ ما نحتاجه عدسةٌ معاصرة تعيد إضاءتها. من «من شرفة ابن رشد» إلى اليوم، ظلّ كيليطو يسلّمنا مفاتيح الدخول: لغة دقيقة، حسّ سردي يقظ، وشغفٌ لا يكلّ بالسؤال. هكذا تُردم الهوّة بين الماضي والحاضر، وبين الذات والآخر؛ لا بالشعار، بل بفعل القراءة التي تُصغي وتُحاور وتبتكر سُبلًا جديدة ليواصل التراث كلامه بالعربية المعاصرة

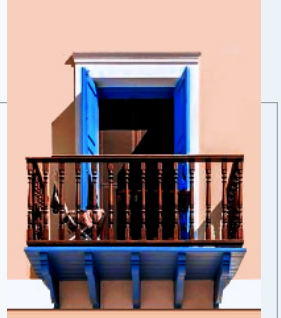

وقفات في مقام الشعر

قراءة في تجربة الشاعر خليف الغالب..

الإنسانُ نصّاً.

المعنى بين المجاز والحقيقة

محمد إبراهيم يعقوب

تتبدّى الصحراء في تجربة الشاعر خليف الغالب كوجودٍ نفسيٍّ أكثر منها كوجودٍ واقعيٍّ، فهو قد فقدها، أو كاد، وإن كان يُحاول استدعائها عبر تجربته الشعرية. وبما أنّ لكل أرضٍ سماءً كما يقول الشاعر: "وللأرض دوماً سماءٌ"، وبالرغم من اتّساع هذه الصحراء يُسمّي خليف الغالب ديوانه الأول "سماواتٌ ضيّقة" كعتبة تناقض "فندرك أننا أمام حساسيّة معرّيّة ترى الضيق في السعة، والوحشة المختبئة خلف الأُنس، وتهجس بالصمت الكامن في الكلمات الثرثارة، وقد يفوتك المعنى تماماً إذا تعجّلت ووصفت هذا بالتشاؤم" (قمرٌ في أقاصي الكلام - سامي العجلان) ،والحقيقة أنّ نصوص دواوين خليف الغالب أبعد ما تكون عن مجرّد التشاؤم، إنها رهانٌ محفوفٌ بالمخاطر على الإنسان الذي يتأرجح بين الحقيقة والمجاز باحثاً عن كلّ شيء، وليس هو عجز عن التعبير، وتورّط في لغةٍ لا تلمس ما يعتمل في صدر نبيٍّ لما ليس يدري به، إلا أنّ الشاعر يُلحّ على فكرة كونه مجازاً منذ النصّ الأول في "سماواتٍ ضيّقة"، يقول:

مجازيّاً خُلقتُ .. كأيّ شعرٍ
فكيف أعيش في زمنٍ حقيقيّ؟!

فلا تعرف للوهلة الأولى هل يؤكّد الشاعر حقيقة الزمن هنا أم ينفيها، في ظلّ أنّه يكاد يتيّقن من كونه مجازاً منذ بدء الخلق، واللافت أنّه يتغيّا هذا المعنى بين الحقيقيّ والمجازيّ في نصّه الأول أيضاً، ولكن من ديوانه الثاني "صحراء لا ترى"، حيث يقول:

كلّنا نمضي مجازاً هائماً
ليس في أرواحنا شخصٌ حقيقي

هنا يتجاوز فكرة الزمن، إلى الإنسان ذاته، ويعمّم الصورة كمن توصّل إلى قناعةٍ تامّةٍ، إلى أنّنا محض مجاز ولا حقيقيّ في أرواحنا، وإن كانت كلمة "شخص" تحدّ من عمق الصورة التي يريد لها الشاعر أن تُمثّله، ويؤمن بها. يُراوغ هذا المجازيّ الحقيقة عبر تجربته كلّها لعلّه يحظى بها، ولكن: " أين الحقيقة، لا حقيقةُ كلّ ما زعموا: كلام!" كما يقتبس من العقّاد في عتبة إحدى قصائده.

يقف الإنسان في تجربة خليف الغالب بين الغياب والحضور، يختلط الأمر أحياناً:

لنرى الحضور بلا غيابٍ
والغياب بلا غيابْ

لكنّ الحضور في النهاية يتماهى إلى غيابٍ لأنّ الإنسان يرفض هذا الحضور، يقول:

خليليّ إنّ الحضور: غيابْ

إذا شارف الانتهاء ابتدا

والسؤال الذي يمسّ الخاصرة: ما الحقيقيّ الذي يبحث عنه الإنسان في تجربة خليف الغالب بين الغياب والحضور؟ ولماذا المجاز يكاد يكون نقصاً وعقبةً في سبيل أن يحيا الإنسان حياةً تليق به؟! يُعالج خليف الغالب موضوع الصحراء بخصوصيّةٍ نافرةٍ عن أن تكون، ماءً وظمأً، رحيلاً ووطناً، رملاً ومطراً. تُستدعى الصحراء عنده كإنسانٍ له طقوسه وعاداته وهواجسه وحرّيته و ..... كرامته!. وهذه البداوة التي تتلبّس إنسان الصحراء ليست شكلاً ولا زيّاً ولا حتى إحداثيّات موقعٍ ما، إنّها الإنسان نفسه، يقول:

ولا وطنٌ يلوح لغير عيني
ولا مالٌ سوى أكوار نوقي
أجوع وكلّ أحلامي جياعٌ
وأظمأ حينما يظمأ رفيقي
وعن جوع الضيوف أعيذ وجهي
وإن ضحيت بابني أو شقيقي
نبيٌّ للخسارة، فوح هيلي
يُنادي الأرض: يا أرضي أفيقي
فإن ترني فقير المال، إنّي
مليءٌ بالبداوة يا صديقي

نرى من خلال هذه الأبيات كيف يتكثّف الإنسان داخل هذه البداوة، فلا انفصال بين البداوة كمعطى وجوديّ وبين البداوة كمعطى نفسيّ، الإنسان هنا حضورٌ كأنّه الغياب، وغيابٌ هائلٌ في الحضور، ظمأ الضيف ظمئي، وجوع الضيف يستلزم الوفاء والتضحية، وأنا لست بدويّاً، أنا مليءٌ بالبداوة، أنا الإنسان، إنسان البداوة ذاتها. ويتعدّى الأمر كثيراً أن تكون البداوة بضع عاداتٍ يحاول الإنسان الحفاظ عليها، إنّ البداوة في عمقها الذي يستحضره الشاعر ويؤكّد عليه، هي الحريّة، الحريّة في ألا تنحني، الحريّة في أن تقول "لا"، الحريّة في أن تُمارس العصيان - من خلال الشعر - ضدّ كل شيء، يقول:

يا سيد الأزد شعري لا يُطاوعني
أفق لكي تملأ الأشعار عصيانا

يهجس خليف الغالب بكتابة إنسانيةٍ حرةٍ عبر صحرائه وبداوته، الإنسان حُراً هو النصّ، النصّ الذي يبحث عن معناه بين الحقيقة والمجاز، يقول:

كن حرّ نفسك في الحياة ولا تكن عبداً لشيء

ويسرد تفاصيل سيرته، وهو يرثي الحب والوجع واللغة والبداوة والموت، يقول:

سلاماً على لغةٍ لا تُماري
إذا كذبت في العيون اللغاتْ
سلاماً على الحرّ حين يشيب
وإصبعه في وجوه الطغاةْ

أما في نصّ "بداوة"، الذي يشبّه فيه البداوة كالحياة الحقيقية أو كالحرية لا فرق، يقول :

سأعيش مع البدو منذ اليوم
.....
.....
بدويّاً يا أمّاهُ كالريح كالحجر كالسماء
بدويّاً يا ربّي كالحياة الحقيقية
كالحريّة
سأعيش مع البدو منذ اليوم
أحيا بكلمةٍ وأموت

وهذه الحريّة ليست سمةً من سمات كائن الصحراء، بل هي لصيقةٌ به، تكاد تكون هو، ويرجو أن تشمل كل ما يحيط به. تجده متضامناً مع كل الكائنات في سبيل هذه الحريّة، الحريّة الداخلية، لا على هيئة سلوك فحسب بل كنسغٍ لا ينفكّ عنه. يقول في نصّ نثريّ، ربما قد يتناسب عنوانه "تضامن" مع نثريته، يقول:

يتضامن مع كلّ شيء
مع وردةٍ كانت الريح أقوى من غصنها
مع صمتٍ يوشك على التمزّق
مع كلمةٍ هجرها أهلها بعد أن مات الكبار
مع كتابٍ عميقٍ بين يدي تافه
مع نجمةٍ ماتت منذ ألف سنةٍ ولا تزال

تبتسم
مع فكرةٍ تخشى الخروج من رأس صاحبها
مع ذرّة ترابٍ فارقت أختها ساعة العاصفة
مع شخصٍ يريد ولا يريد
مع السؤال الذي يبحث عن رجلٍ شجاع
مع الجواب الذي ينتظر سؤاله .. ما جاء
مع الوقت، لا يدري أيمضي أم يُمضى به
مع هذا الشيء الذي يحتلّ جسده منذ ثلاثين سنة
كيف - عبر الشعر - يحصل هذا الإنسان الحرّ على الحقيقة، في ظلّ مجازٍ يكتنف

اللغة، ويهذّبها، ويميل بها، هل يتستّر الكائن خلف اللغة بمجازٍ يمرّ ولا يخدش، يهمس ولا يصرخ. هذا المجاز الذي هو ضدّ الحقيقة، وإزاحةٌ لها، هو ما يُسمّيه خليف الغالب "شجاعة الاستعارات"، يقول:

نحن الجبناء
حين نصبح شعراء:
سنختبئ وراء الاستعارات
لكي تموت هيَ قبلنا

ولذا نكاد نفهم كيف لخليف الغالب أن يُقرّر عن شعره أنّه لم يقل كلّ شيءٍ بعد، هنا ينطبع الشاعر بالإنسان، الإنسان النصّ الذي يريد أن يظلّ شاسعاً وواضحاً وحرّاً كالصحراء. هذا الشعر الذي لم يقُل بشكلٍ كافٍ أبداً، وهو ربما لم يصل بعد لمرحلة أن يكون شعراً، فما هو إلا نداء. نداء قلب، يقول:

لم يكن شعري سوى قلبي يُنادي
فيصبح على يقينٍ أنّه لم يستطع أن يفهم
إلى الآن:
ما زال في الصدر شعرٌ لستُ أفهمهُ

وأعظم الشعر حتى الآن ما كُتبا

من هنا فإن رحلة البحث عن معنى لا تنتهي إلا لتبدأ من جديد، في متناول المجاز - من غير أن نتفاجأ - واستعصاء الحقيقة، اختلطت الأشياء، يقول:

فات الصواب وضلّ الحقّ وانسحبت
نفسي من الناس لما حظّها فاتَ
بحثت عن جهتي في كل ذي وتدٍ
وجزتُ ما جزتُ ميقاتاً فميقاتا
بحثَ في كل الجهات، ولم يصل إلى المعنى، يقول:

لا أرض تحمل أثقالي لأقصدها
أمشي فلا أصل المعنى ولا أقفُ
وأقسى ما يعبّر به بُعد هذا المعنى عند التصاق إنسانيته بصحرائه بكلّ عمق تفاصيلها، يقول:

هذا شداد بعيري، ذا هواء أبي
هنا سماواتنا الأولى وذكراها
أتيتُ من مدن التاريخ محترقاً
متى ستمنحني الصحراء معناها

أين الحقيقة التي يبحث عنها هذا الإنسان في تُخمة مجازٍ لا يقول، ولا يُقاوم إلا بالصمت؟!، إنّ الشاعر يجد طريقين اثنين للانعتاق: الموت والحبّ، واللذان لا يأتيان دائماً متى نشاء، يا للعجز، ويا للحسرة!

يمرّ الشاعر بخيطٍ خفيٍّ إلى الماضي عبر استدعاء الآباء والأجداد والأسلاف في أكثر من موضع، يتشبّث بهم، يستحضرهم، وحتى حين يستلهم شخصيّات تراثية فهو ينتقي بعناية من يُمثّل حرّية الإنسان فيه، نراه حين يستلهم بيتاً للشنفرى في نصّ "حزن صعلوكٍ متأخّر" لا يستلهم إلا بيت الشنفرى الذي يقول:

وأستفّ تُرب الأرض كي لا يرى لهُ
عليّ من الطول امرؤٌ متطوّلُ

وفي النصّ انحيازٌ للموت لا تخطئه العين، يقول:

"أقم صدور" المنايا لستُ ندمانا
"قد حُمّت" الأرض أشواقاً لموتانا
ضاقت دروبٌ من الأحلام نعرفها
وأسفر الموت في هزلى مطايانا

إلى أن يقول:

نمضي على العهد علّ الموت يُنقذنا
في صحبة الليل نُذكي نار نجوانا

ويُمهّد لرؤيته التي اكتملت حيال الموت في "صحراء لا ترى"، يقول:

جليد الحقيقة قاسٍ، أموتُ لكي
أكسر الماء، موتي: سُدى
وجدتُ الفؤوس هنا في الضمير
ولكنني ما وجدتُ اليدا

لكنّه لا يلبث أن يعترف - بعد ذلك بقليل - علانيةً، يقول:

شبح الحياة يمرّ في غرفي
فأرى الحقيقة بين أمواتي

ولا يسهو بالطبع عن ربط الموت بالشرف لأنّ إنسان الصحراء يعيش ويموت حرّاً، يقول:

فإن خُيّرت في الميتات فاختر ميتة الشرفِ

ولكن، فإن!، فالموت لا يأتي كما نشاء. أمّا عن الحبّ، فهو ينتظره، ويستدنيه في أغلب قصائده، يستدنيه لأنه هناك في البعيد، ويُخيّر هذا الحبّ بين "تعالي" و "خذيني"، لكنّه يظلّ بعيداً وحقيقيّاً دائماً، يقول:

حبيبتي هذه الدنيا تُحاصرني
هيّا خذيني شتاتاً، باكياً، طربا
مستوحشاً، هادئاً، حرباً بلا سببِ
وجئتُ عينيكِ هل ألقى هنا السببا؟!

ويؤكّد أنّها حقيقته رغم ضيق السماوات، يقول:

لو كنتُ أعرفها حقّاً لقلتُ لها
حقيقتي أنتِ، ها ضاقت سماواتي
مضيت في العمر لا روحٌ ولا جسدُ
لم تنتصر فيَّ أنهار البداياتِ
حيٌّ، معي سرب أمواتٍ وأسئلةٌ
يا ربّ أثقل ظهري حمل أمواتي

هي الحياة الحقيقية التي في مقابل الموت والأسئلة، هي ضدّ الموت، لكن لو كان يعرفها حقّاً، يصرّ على جعلها هناك، لا

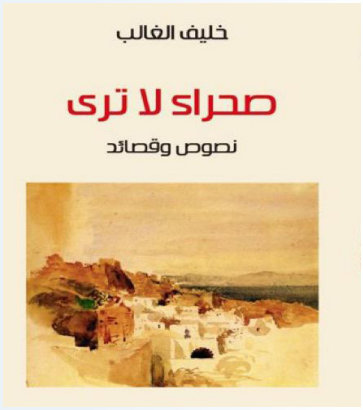

مشيئة له إلا المضيّ، حيٌّ ولكن يحمل على ظهره كل الأموات عمداً، الأجداد والأسلاف والشخصيات الأثيرة بالنسبة إليه تمرّداً وخروجاً عن النصّ، ولا أعتقد أنّ ذلك يُثقل ظهره كما يقولّ!

ويترجّى حدّ الإشفاق، يقول:

جئتُ إليكْ
شقيتُ بدنيايَ عمراً مليئاً برائحة الزمن المكفهّر
بطعم الحماقةْ
بقيتُ أسامر أطياف كونٍ
توشّحه مفردات الصفاقةْ
وجئتُ إليكْ

وإذا تتبعنا المقاطع الثلاثة السابقة، نجد أنّ الأنثى/ الحبيبة هي البديل المتوخّى سواءً: عن الدنيا أو العمر أو الحياة، هذا الأنثى التي يحاول بها الانتصار على الموت، وهي ذاتها التي لا يعرفها حقّاً!

يريد لهذه الأنثى أن تحرّره، يقول:

وجودياً أجيء بفيض أنثى
تحرّرني: لكي أبقى وليدا
لنتبع علّة الأشياء غيّاً
ونجمع حلمنا ألقاً عنيدا
ونبكي بعضنا: وطناً مضاعاً
لكي يهب البكاء لنا الخلودا

هذا التحرّر على يد أنثاه، ربما يستعيد به صحراءه وبداوته، وحرّيته، يقول:

لا قلب لي، كي أستعيد بداوتي
وأثور في وجهي وأقتل غايتي

فهل يستعيد بداوته حقيقةً، أم لا يعدو ذلك أن يكون محض مجازٍ لا أكثر. المأزق أنّ الرهان على ذلك كلّه ليس النصّ بل الإنسان!

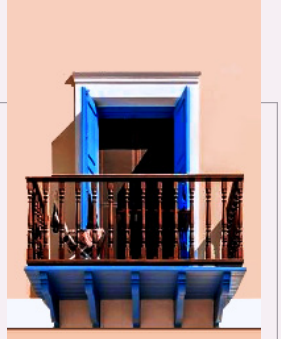

شرفة النقد

ماتبقى للشاعر من «غرناطة».

د. مستورة العرابي

عندما نظّرت جولياكريستيفا للحوارية أو التناص اعتبرت الظاهرة نسقًا ثقافيًا لتفاعل القارئ مع الخطاب والنص، وهو في حدّ ذاته تفاعل مع التاريخ والمجتمع. وبهذا المعنى تصبح الحوارية نسقًا ذاتيًا جماليًا واجتماعيًا وتاريخيًا في الآن ذاته. وانطلاقًا من هذا الإطار يُمكن التساؤل: كيف يُشيِّد الشاعر تركي المعيني عوالمه الحوارية في ديوانه «كآخر الخارجين من غرناطة» اعتمادًا على العلامة السيميائية «غرناطة»؟ وما الدلالات التي تولّدها هذه العلامة حين تتحوّل من فضاء مكاني إلى رمز نفسي وإبستمولوجي للذات الشاعرة؟.

ننطلق في البدء من الفرضية الآتية: علماء الدلالة المعرفية أمثال لايكوف وفيلمور يعتبرون المركبات الظرفية المكانية،هي قوالب فضائية في الأصل لكنها تتحول إلى أهداف نفسية وسيكولوجية. وهذا يعني أن شاعرنا عندما يستعير«غرناطة» كعنوان لديوانه، فإنما نفترض أن الغاية هي أشياء في غرناطة يتم إسقاطها على الذات، وعلى جمالية الكتابة أيضًا. فماهي وجهة نظرنا للإجابة عن تشكلات هذه الحوارية الدينامية بين التاريخ «غرناطة» وفضاءاتها من جهة وذات الشاعر وأناه من جهة أخرى؟. يقول الشاعر في قصيدته «ما أيقظت ملامح الحمراء»:

هو لايبوحُ بما يُخبِّيء
إنما تَطهو ملامحَهُ
يدُ البكَّاءِ
فـ تراهُ يضحكُ
ثم يسكتُ
كانتباهةِ
واقفٍ في ساحةِ الحمراءِ
نسَلتْ له الجدرانُ
صورةَ جدِّهِ
فَـ ثوى يُحيلُ غناءهُ لـ رثاءِ...

في هذه اللوحة الشعرية، يتحوّل المكان «الحمراء» إلى أداة استدعاء للهوية والذاكرة. حيث تُمارس اللغة وظيفة مزدوجة: ظاهرها الحنين والرثاء، وباطنها تحويل الفقد إلى بنية شعرية تُعيد إنتاج الذات. فـ«الجدران» و«الجَدّ» و«الرثاء» ليست وحدات معجمية معزولة، بل رموز مترابطة تُكوِّن شبكة دلالية تُحيل على الضياع الرمزي للأندلس. كما تُنتج هذه الصورة ثنائية أساسية: الضحك/البكاء، التي تتجاوز بعدها الانفعالي إلى بعدٍ أنطولوجي.إنها ازدواجية الذاكرة بين الألم والوجود.

هذه الملفوظات الشعرية تزاوج بين الصريح والمضمر ذلك أن المعاني القضوية بالمعنى التداولي هي معانٍ حرفية ملازمة للكلمات والعبارات. حيث إن الأسطر الشعرية تبوح بثنائية " البكاء والضحك" غير أن الموجّه النصي المكاني: "الحمراء" يقتضي البحث عن المضمرات وراء الوحدات المعجمية الآتية: "الجدران"، "جَدّه"،" رثاء". ألا يبكي الشاعر قصر الحمراء في غرناطة المفقودة؟ خاصة أن متوالياتها الشعرية يتم ربطها "بالجدّ"،"الأندلس وفقدها،"والرثاء". غير أن هذه القراءة نعتبرها قراءة أولى على سبيل التشاكل الأول المتمثل في حوار الشاعر مع الماضي وتمظهراته في الزمان والمكان. ويدعم هذا التأويل قصيدة «قلب أحاطه اللّه!!»الذي يتخذ من حوارية الشاعر مع الأندلس منطلقه للإسقاط النفسي الذاتي لكل العلامات التاريخية وأبعادها الإيحائية يقول:

إنّا مُنْجوكَ ..
فـ اقرأ في صلاتكَ ما
تلا " الزمانُ" ربيعًا؛
عصرَ أندلُسَا.

الذات الشاعرة توجّه الماضي نحو الذات المركبة، فتتحوّل إيحائية المكان الماضي إلى خارطة للأنا الشاعرة بما تحمله من سمات المعاناة والأحلام المفقودة. يقول الشاعر في قصيدة «ابتسامة الفجر الأول»:

تقول للفجر:
عُدْ وانزعْكَ عن دُجَنٍ
سـ تولدُ اليومَ شمسُ
فيك فاتنةُ ...

يتحوّل الفجر إلى علامة حلمية، مشبعة بدلالات الصحو والانبعاث، غير أن فعل الأمر «عُدْ» يكشف انكسار الأمل وتكرار الانتظار. وبهذا يتشكّل محور دلالي قوامه ثنائيات: الحلم/الخيبة، النور/الظلمة، الميلاد/العدم، وهي ثنائيات تتكرّر لتؤسس ما يمكن تسميته باقتصاد التوتّر الشعري في الديوان.إن الشاعر يحول الأمكنة والفضاءات إلى سمات نفسية تهيمن عليها مقومات [+حلم]،[+صبابة]،[+معاناة] .. إذ يظل الحلم المنزوع من التاريخ (لنتذكر الأندلس وغرناطة) في قصائد الشاعر مجرد أفق ينزع إليه الشاعر بلا أمل أو يقين يقول:

مالا إلى الماء
حيثُ الماءُ ينزعُهم ممّا تُجفِّفُ للأحلامِ؛
يابسةُ...

تتحوّل صورة الماء-رمز الحياة والخصب- إلى دليل جفافٍ روحي. فالمفارقة-هنا- ليست جمالية فحسب، بل مؤشر دلالي على انقطاع التواصل بين الحلم والتاريخ، لذلك اتخذ النسيج الشعري من عناصر الحوارية التاريخية أساس الرؤيا للعالم. إذ يسقط كل معاناة الضمير الجمعي التاريخي على معاناة الذات وأحلامها المفقودة، وهذا ما نلحظه في قصائد يزاوج فيها بين ثنائيات عديدة مثل: الماضي والحاضر في البنية التركيبية، أو الحياة والموت، والخصب والجفاف، والخير والشر كما في قصيدة «مالم ينكره

قميص يوسف»،فإذا كنا قد قرأنا حوارية النصوص في النسق الشعري للشاعر ضمن إطار الإسقاط الدلالي النفسي، فإنه يستعيد «قصة يوسف» لتحيا بين الضمير الجمعي والفردي للأنا الشاعرة، فكيف تبني القصيدة مستويات التحويل الفضائي النفسي؟.

أنّى بـ عيرٍ للبشيرِ
تجيئُني بـ قميصِ يوسفَ..
كي أعودَ من العَمى؟!!
الأرض ماجت بالحياةِ
ولا أرى للمعجزاتِ
إلى عيوني سلّما
فـهنا حقول الجائعين
مليئةٌ بالقمح...
لا تشكو الجفافَ أو الظما
وهناك ثوبٌ قُدّ من دُبُرٍ
وما شهدوا بـ تبرئةِ الغُلامِ،
وإنما..
خرسوا كما خرُسَ الظلوم لـ باطلٍ من أ هلِهِ
فيما رأى وتكتّما!

الشاعر يستعير من جديد فضاء تاريخيا دينيًا، وهو قصة يوسف فيحولها انطلاقًا من المزاوجة بين مركبات الفعل الماضي والمضارع إلى قصة الذات ورؤيتها للعالم. ذلك أن التوازي بالتناظر(التشابه والاختلاف) بين مركبات الفعل الماضي: "ماجت"،" قُدّ"،"خرسوا"،"أبت"، ومركبات الفعل المضارع:"تجيئني"،" أعود"،"أرى"،"تشكو".. تحوّل قصة يوسف حيث المعاناة مع الظلم والغدر إلى التمرّد على الزمان الحاضر. أي حاضر الذات من خلال الكشف عن زيف الحقائق التي تعيشها الذات،يقول:

"والنائمون رأوا بأن رؤاهمُ
أضغاثُ أحلامٍ
فلا تروى!
وما..

إن قراءة قصيدة «قميص يوسف» تكشف نصًا يقوم على تفجير الرمز المؤسِّس لاكتشاف حاضرٍ مشكوك في معجزاته. القميص هنا ليس إشارة كمية عابرة، بل علامة سيميائية تحرّك بنية القصيدة كلّها: إنّه يتناص مع الأقمصة الثلاثة في السرد القرآني (الملطّخ، والممزّق، والمبشِّر بالعَود والبصر)، لكنه يُنزَع من سياقه الديني ليُعاد توظيفه في سياق ذاتٍ ترى أن العين لا تجد إلى المعجزة سُلّمًا. هكذا يتحوّل القميص من برهان على الصدق إلى اختبار للزمن: هل ما يزال «البشير» ممكنًا في واقعٍ «لا يرى للمعجزات إلى العيون سُلّمًا»؟ وتتعاقب ضمائر القول بين نداء مستغيث «أنّى بعير للبشير تجيئني...» واعتراف فاجع «ولا أرى للمعجزات...»؛ هذا التذبذب بين الطلب والنفي يُنتج اقتصاد توتر يُبقي المعنى معلّقًا بين أفق الخلاص ووعي العجز. إن صيغ الاستفهام والشرط والنداء تؤسس لقصيدة إنجازية تفعل أكثر مما تقول: لا تصف اليأس فحسب، بل تؤدّيه أداء لغويًا؛ فالنداء يُستدعى ليُلغى، والبشارة يُستحضَر نموذجُها ليُشكِّك في إمكانها. ويتأسس الزمن الشعري على جدلية الماضي/الحاضر من خلال تواشج الفعلين الماضي والمضارع. فالماضي يُستدعى بوصفه «خبرًا يقينيًا» (قصة يوسف) ثم يُقاس عليه حاضرٌ يفقد يقينه؛ والمضارع هنا ليس استمرارية مطمئنة بل استمرارية أزمة: «تجيئني/أعود/أرى» أفعال تَعِد بالحركة لكنها محاطة بسياج النفي واللاجدوى. بذلك يتحوّل الزمن إلى موضوعٍ للقصيدة، لا خلفيةٍ لها: إنّه زمنٌ يُجرِّب المعجزة ولا يُصادفها. كما تقوم البنية الإيقاعية

على تقطيع تفعيلي متوتّر وتدويرٍ يمدّ الجمل ثم يقطعها عند أكثر المواضع دلالة. علامات الترقيم المكثّفة (علامات الاستفهام والتعجّب) تنقل القارئ من نَفَس الاستغاثة إلى نَفَس الاحتجاج، ثم يتجاوز الألم، ويعلن في قصيدة«شقيًا لن تسير إلى..!» الاحتجاج عليه؛ لأنه مجرد زيف وشدو مخادع يقول:

كفرتُ بالشدوِ،
فانفخ في خواءِ فمي
ياسادنَ الصمتِ،
واسفحْ من صَباك على ...
أضالعي،
كلّما راوغتْ خارطةً
وأطّرتْني:
(شقيًا لن تسير إلى..!)

فالبنية الاستعارية في ديوان الشاعر تنطلق من أنساق التاريخ لتسقطه على الضمائر وخاصة ضمير الأنا بوصفه مركزًا إشاريًا يشير إلى الذات وكينونتها الضائعة«كفرت، راوغت،أطّرتني».إن هذه الرؤيا للعالم والكون بوصفها رؤيا حوارية تاريخية مناسبة للشاعر كي يتجاوز الماضي نحو الحاضر؛ ففي قصيدة «غنائية لنسيان الألم» يراكم الشاعر ملفوظات "الأمل والغد والأفق" لتجاوز محنة الماضي كما هي مستوحاة من حوارية «غرناطة، وقصة يوسف»:

تركتُ الأمسَ
ينزفُ من ورائي
ولم أعبأ بما عاناه خلفي!
فـ منذ الغد
أولاني مُقامًا
وقلبي نازعٌ أصداءَ حتفي
..
تنادمني
وحولي ألفُ غصْنٍ
يراقصها على نسيانِ نزفي...

إنه مسار ذهني ينقل الشاعر من فضاء اليأس نحو تجاوز العتمة، وهذا مابناه الشاعر عبر أفعال لغوية مضمرة في قصيدته«فـمُ يربّي على صوتِ الأسى قلمهُ..!»، فالتساؤلات الوجودية من قبيل : "من قال للضوء: نم"،"ومن قال لليل طف بالموجعين ..؟" تضمر إضافة إلى الدلالة الحرفية والإنجازية الماثلة في المونولوج ومخاطبة الذات دلالة التمرد على الواقع النفسي حيث ينسف الشاعر المأساة ليتطلع إلى صبح جديد.

إذن، قراءة ديوان الشاعر تركي المعيني«كآخر الخارجين من غرناطة» تشي بالرؤيا الجمالية والدلالية لقصائد الشاعر. حيث ينطلق عبر مسار ذهني استعاري من الحوارية مع التاريخ «غرناطة، وقميص يوسف» ليسقط مأساتهما على كينونة الذات ثم يتجاوزها إلى غدٍ أفضل من خلال توظيف «التشابه والاختلاف» في الإيقاع والمعجم والبنية التركيبية، وبهذا يخرج ديوان «كآخر الخارجين من غرناطة» من حدود القول الشعري المألوف إلى فضاءٍ تتقاطع فيه الذاكرة مع الرؤيا، والتاريخ مع الوجدان. فالشاعر يكتب من عمق الانكسار نفسه، محاولًا أن يعيد للعزلة معناها، وللغياب صورته الأولى. إنّ قصائده تحوّل الرماد إلى أفق، والفقد إلى نداءٍ للكينونة كي تتجلّى من جديد. وفي ضوء ذلك، يغدو الديوان مشروعًا شعريًا لمساءلة الذاكرة، وتجريبًا لغويًا يروم تجاوز الرثاء إلى مقاومة النسيان عبر تشكيل جمالي متوتر يتكئ على ثنائيات متناقضة: الحضور والغياب، الموت والولادة، الصوت والصمت. الألم والأمل. إن شعر تركي المعيني لا يواسي قارئه، بل يوقظه على هشاشته، ولا يكتفي بتأبين «غرناطة»، بل يزرعها من جديد في جسد اللغة، لتغدو القصيدة نفسها آخر الخارجين منها، حاملةً رمادها وضوءها معًا في آنٍ واحد.

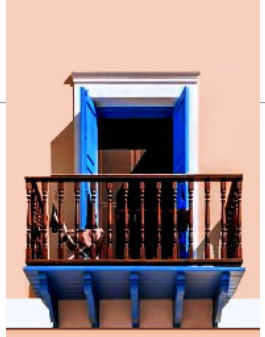

نقاشات

صوت داخل الآلة..

العامية السعودية في زمن الذكاء الاصطناعي.

أمل الحسين

اللهجة العامية ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي وعاء للهويات المتعددة داخل المجتمع ، من خلالها تتشكل الفروق الدقيقة بين جيل وآخر، ومنطقة وأخرى، وحتى بين مهنة وأخرى ، إنها سجلّ يومي حيّ يختزن الموروث الشعبي والمخيال الجمعي، ويعيد تدوير الحكم والأمثال والنكات والأغاني والأحاديث اليومية التي تتناقلها الألسن ، هذه الذاكرة الشفوية، إذا غابت عن النصوص، فستغيب معها أصوات أجيال كاملة ، من هنا تصبح كتابة العامية فعلًا توثيقياً يحفظ أصالة التجربة الإنسانية كما عاشت وتناقلتها الناس ، بهذا المعنى، العامية ليست لغة ناقصة أو هامشية، بل هي أداة غنية ومشحونة بدلالات قد يصعب على الفصحى وحدها أن تلتقطها.

من منظور علم النفس، تكشف اللغة العامية عن لاوعي الجماعة: انفعالاتها، مكبوتاتها، وطريقتها في التخفيف من التوتر عبر التهكم والسخرية. فهي اللسان الذي نبوح من خلاله بما في داخلنا مباشرة، قبل أن ننتقل لطبقة لغوية أخرى أكثر رسميّة تفرضها الكتابة بالفصحى، بكل ما فيها من تركيز وانتقاء للكلمات، فالانتقال إلى الفصحى أشبه بعبور عتبة أو إسدال ستار بين الذات كما تتحرك وتتكلم يومياً، وبين ذات أخرى تُستدعى للكتابة ، يحدث هذا التحول في ثوانٍ، دون أن نشعر به.

وأنا هنا لا أعيب الفصحى ولا أرفع من شأن العامية على حسابها، بل أشرح كيف تتبدّل النفس بين اللسانين: اللسان المعتاد الذي نتحدث به، واللسان الرسمي الذي نكتب به ، حتى لو كان هذا اللسان الآخر هو الأصح أو الأجدر لأي اعتبارات ثقافية أو اجتماعية، فإنه لا يلغي حقيقة القفزة أو العتبة التي نعبرها لحظة الانتقال من الكلام العفوي إلى الكتابة المنضبطة ، وهذا الانضباط جعل بعض المتحمسين للفصحى يرى أن من لا يكتب بها كسولاً أو جاهلاً أو ما شابه من أوصاف الانتقاص ، وأرى أن هذا رأي متطرف، وهو أحد أشكال الضغط النفسي / الاجتماعي الذي يجعل بعض الناس يبتعدون عن طبيعتهم أثناء الحديث، فيلجؤون إلى الفصحى خشية أن يُوصموا بالجهل أو قلة الثقافة ، وفي المقابل، يمنح هذا التصورُ آخرين مساحة نفوذ رمزي لمجرد إجادتهم للفصحى، حتى لو كان ما يقولونه سطحياً أو مضللاً ، فقد أصبحت الفصحى، في بعض السياقات، أداة سلطة رمزية أكثر منها وسيلة للتواصل.

ورغم الانتقاص الذي يتعرض له كتّاب العامية في شبكات التواصل أو في الروايات (خصوصًا في الحوارات) إلا أنّي شاهدت مواقف، وإن جاءت على سبيل المزاح، لكتّاب وكاتبات لا يستطيعون كتابة نص جيد باللهجة العامية رغم محاولاتهم المتكررة ، وقد رأوا في ذلك أمرًا إيجابيًا بالنسبة لهم، معتبرين أنهم يميلون إلى الفصحى بطبيعتهم التي قد يسميها البعض (فطرة) أثناء الكتابة ، ولكن هذه المواقف لها وجه آخر ، وهو أن الكتابة بالعامية ليست بالأمر السهل لاسيما أن كنت ستكتب نصاً ، وليس مجرد كلمتين أو سطر .

ولعل ما يقوله الدكتور لويس عوض في كتابه مقدمة في فقه اللغة العربية يمنحنا زاوية نظر مختلفة: فالعامية ليست مجرد تشويه للفصحى كما يظن البعض، بل هي امتداد طبيعي لها عبر القرون. كثير من المفردات التي نستعملها في أحاديثنا اليومية اليوم، هي في الحقيقة ألفاظ عربية قديمة اندثرت من الاستعمال الفصيح وبقيت في العامية. بهذا المعنى، العامية ليست لغة دخيلة بل ذاكرة تاريخية تحتفظ بملامح من الفصحى الأولى، وتعيد تدويرها بما يناسب حياة الناس .

لماذا أصبحت الكتابة بالعامية مهمة؟

سأتحدث هنا عن شبكات التواصل تحديدًا، لأن المنصّات المخصّصة للكتابة عادةً ما تفرض شروطًا محددة، من بينها الالتزام بالفصحى. أما شبكات التواصل فهي فضاءات شخصية تمامًا، يختار فيها الفرد اللغة التي يكتب بها دون قيود، مما يمنحها قدراً أكبر من الحرية والراحة في التعبير، كما أنها قنوات مؤثرة وليست جانبية أو هامشية. أقرأ في منصّات التواصل المختلفة لحسابات من جنسيات عربية متنوّعة، ولأشخاص يحملون شهادات عليا، ويشغلون مناصب علمية ووظيفية مهمة، ولديهم مخزون لافت وقوي من الثقافة والمعرفة والأفكار ، وكثير منهم يكتب في مجلات وصحف ومواقع محترمة ذات وزن وتأثير ، حين يعبّرون عن آرائهم في حساباتهم الشخصية، يكتبون بلهجاتهم العامية ، وحتى لو كتبوا بالفصحى ، التعليقات من أناس يماثلونهم بالقيمة الثقافية تكون بعامية بلدهم ، حتى تجد هذه النقاشات تستشهد بمفردات أو عبارات قديمة من تراثهم الشعبي، أو يستحضروا أمثلة محلية داخل سياقات متنوعة / ثقافية / اجتماعية / سياسية ، ولا أرى أحداً في التعليقات يسخر منهم لأنهم لا يكتبون بالفصحى ، على العكس تماماً، تبدو التعليقات كأنها تدور داخل مقهى ثقافي أو ملتقى فني، تُكتب هي الأخرى بلهجات عامية مختلفة، دون أدنى شعور بالنقص أو الحاجة لتبرير استخدام اللغة اليومية.

هذا المشهد يعكس حقيقة بسيطة: اللهجات العامية ليست عائقًا أمام الفكر أو القيمة أو العمق ، بل هي وعاء حيّ للفكرة، وامتداد طبيعي للثقافة التي ينتمي إليها الكاتب والقارئ معاً .

عندما كنت أبحث عن معلومات مختلفة خاصة باللهجة السعودية عبر الذكاء الاصطناعي لم أكن أحصل على المعلومة ، مما يعني أن الذكاء الاصطناعي لم يتغذَّ على اللهجة السعودية بسبب نقصها في الانترنت .

أحد تطبيقات الذكاء الاصطناعي يتحدث دائمًا بلهجة إحدى الدول ، وبمجرد أن أتحدث معه بالعامية، يردّ عليّ بتلك اللهجة تحديدًا، رغم أني أخاطبه باللهجة السعودية. وحين سألته عن سبب تمسّكه بهذه اللهجة، أجاب أن تدريبه اعتمد بشكل كبير على محتوى شبكات التواصل الخاصة بأهل تلك اللهجة .

قرأتُ إعلانًا في إحدى شبكات التواصل عن مركز يقدّم دورات تدريبية مدفوعة لتعليم لهجة بلد معيّن، مع إتاحة خيار للمتدرب لاختيار لهجة منطقة محددة داخل البلد، أو تعلّم اللهجة الدارجة عموماً ، وفي مكان آخر، وجدت إعلاناً يطلب شباباً للعمل عن بُعد برواتب مجزية مقارنة بمستوى الدخل

في تلك الدولة، يكون دورهم نشر لهجة بلدهم في منصات مختلفة على الإنترنت، بهدف تغذية أنظمة الذكاء الاصطناعي بها. هذه الأمثلة تبيّن أن اللهجة العامية ليست لهجة هامشية أو عابرة، بل لهجة أصيلة ومتجذّرة ومهمة ، ورغم محاولات التقليل منها عند استخدامها في الكتابة، سواء بالسخرية من كتّابها أو التلميح بأنها (أقل شأناً)، إلا أنها ما زالت حاضرة بقوة ، والمفارقة أن كثيراً ممن يحاربونها يتحدثون بها طوال يومهم ، والغريب أن المعترضين على العامية كثيراً ما يرون أن الإشارة إلى كون أحاديثنا اليومية تتم بها ، أنه نقاش (بلا معنى) ، وهذا الموقف في حد ذاته يكشف أنهم لا يملكون رداً مقنعاً، فيلجؤون إلى تعليق الفكرة على شماعة أنها فكرة لا تستحق النقاش .

سجلت الدكتورة لمياء باعشن في أحد اللقاءات ملاحظة على الأديب وسادن الأساطير والأمثال عبد الكريم الجيهمان في مجموعته الثرية والغنية (أساطير شعبية من قلب الجزيرة العربية) أنه أخطأ حينما كتبها بالفصحى، فالأساطير والحكايات يفترض أن تكتب كما هي دون تدخل من الجامع لها .

وأتفق جدا مع الدكتورة لمياء فأحد مميزات وجماليات الحكايات الشعبية ليست فقط القصة ذاتها ولكن مفرداتها ، مفرداتها التي تحمل تاريخاً كاملاً.

كان الشاعر مظفر النواب يعمل معلماً في جنوب العراق بداية السبعينات، وكان يجري مسابقة داخل الفصل: أي طالب يأتيه بمفردة شارفت على الاندثار في الجنوب ، سمعها من والديه أو أجداده ، يمنحه هدية ودرجة إضافية .

باتت الكتابة بالعامية، خصوصًا في شبكات التواصل، أكثر ضرورة مع الضعف العام الذي نراه في الحوارات الدرامية.

هناك شبه إجماع على أن الحوار في الدراما ضعيف ومفكك وتتداخل فيه مفردات لا تمت للمجتمع السعودي بصلة ولكنها مقتبسة من مفردات مجتمعات أخرى وذلك لتواجدها المكثف في الدراما الخاصة بهم وأيضاً بكتاباتهم العامية في شبكات التواصل ، وهذا الاقتباس من تلك اللهجات بدون وعي وإدراجها في حوارات الدراما السعودية دليل على سطوة وقدرة اللهجة على الانتشار والسيطرة على أطراف بعيدين عن مجتمعها.

ولا يعود هذا الضعف إلى نقص المفردات فقط ، فالأسباب كثيرة ومتداخلة ، لكنه مرتبط أيضاً بنمط من التواصل الجاف الذي أصبح يطغى في اللقاءات الإعلامية ، نرى مراسلًا صحفيًا يلتقي بكبار في السن أو في قرى ومحافظات ويستخدم الفصحى في لقاء يتناول الحياة اليومية أو التراث ! مما يفسد المشهد ويربك الضيف ، ويختفي الجو الحميمي الذي يُفترض أن يكون عنصر الجاذبية في اللقاء ، وليس بالضرورة والوضع عند الشباب والأطفال قد يكون أوضح: عندما يتحدثون بالعامية التي هي لغتهم اليومية يبدؤون حوارهم بانطلاق وبساطة، ثم يتلبّسهم فجأة شعور الرغبة في كسب الإعجاب، أو الخوف من الانتقاد، أو محاولة إثبات أنهم قادرون على مجاراة (الثقافة) بالتحدّث بالفصحى ، فيترددون، ويتلعثمون بحثاً عن المفردة المناسبة وكأن اللغة أصبحت معركة لا وسيلة تواصل.

وكثير من هذه اللقاءات تحوّل إلى مادة ضحك وسخرية بسبب الكلمات الفصحى غير الصحيحة التي تم استخدامها ، كل هذا بسبب الضغط النفسي الاجتماعي الذي يختزل قدرات الناس وثقافتهم في إجادتهم للغة الفصحى !

هناك من يردّد أن العالم العربي لا يعرف اللهجة السعودية، وسمعت في أحد اللقاءات مصحّح لهجات في الدراما السعودية يتبنّى هذا الرأي، ويرى أنه من الأفضل التخفف قدر المستطاع من المفردات المحلية والاعتماد على ما يُسمّى (اللهجة البيضاء) لكونها أسهل على الجميع ، وعندما أراد تقديم مثال لدعم وجهة نظره، استشهد بعبارة تنتمي إلى قاع لهجة محلية داخل منطقة سعودية محددة، وهي لهجة لا يعرفها حتى كثير من أبناء المدينة نفسها ، وهذا في الحقيقة مثال غير دقيق على الإطلاق، لأن الحديث ليس عن اللهجات العميقة أو المفردات القديمة التي اندثرت وصار مكانها كتب التوثيق ، فجميع الدول تقريباً لديها مثل هذه المفردات الشعبية القديمة، وهذا أمر طبيعي لا يختصّ ببلد دون آخر ، ما نتحدث عنه هو اللهجة السعودية المتداولة يومياً ، وهي مختلفة عن اللهجة البيضاء ، لهجة ما زالت تحتفظ بكثير من مفرداتها الخاصة المتوارثة، ورغم قدمها فهي معروفة ومستخدمة على نطاق واسع ، هي اللهجة التي نتحدث بها في بيوتنا ومجالسنا، وتُقال في القصائد والأغاني ، فما الذي يجعلها مقبولة ويحتفى بها في الأغاني ومرفوضة في الحوارات الدرامية أو في كتاباتنا على شبكات التواصل؟

وقد لاحظتُ أن الكثير من صُنّاع المحتوى الذين يسردون قصصاً شخصية أو منقولة يتحدثون بعامية تلقائية تستخدم مفردات قد لا يعرفها أبناء المناطق الأخرى ، وما إن يظهر مقطعٌ منهم حتى تمتلئ التعليقات بالأسئلة عن معنى كلمة ما، وهذا يعني أن المفردات يتم الاحتفاء بها وتعلّمها من خلال (السواليف) ، الأمر ذاته يحدث اليوم مع إعادة إحياء الأغاني القديمة؛ فقد كانت تلك الأغاني مليئة بمفردات تلاشى استخدامها اليوم، لا لضعفها أو تجاوز زمنها، بل بسبب الاستعانة ،دون وعي ، بمفردات من لهجات دول أخرى، كونها الأكثر حضوراً في الإعلام وشبكات التواصل ، هذا النوع من التأثر لا يكون متعمّداً ، بل يتسلل مع الوقت دون شعور.

وهذا كلّه يدلّ على أن الزمن وانتشار الاستعمال هما المحركان الفعليان لانتشار المفردات، لا سهولتها ولا صعوبتها ، والدليل أن كثيرًا من الجنسيات العربية الموجودة على منصة تويتر (أو "إكس" حاليًا)، وبحكم كثافة الحضور السعودي فيها، تعلموا بالفعل عدداً كبيراً من المفردات والعبارات ومعانيها، فقط لأنهم تعرضوا لها باستمرار ، المشكلة ليست في صعوبة اللهجة، بل في أنها غير مُعلنة بما يكفي في المساحات العربية المشتركة ، فعلى سبيل المثال، عندما يحلّ ضيف سعودي في برنامج مصري، تجده يتحدث بالمصرية فجأة ربما من باب المجاملة، وربما لأنه يشعر بشيء من الحرج إذا قال له المذيع: "ممكن تعيد؟ ما فهمتش.

أتذكر شابًا سودانيًا صاحب قناة في اليوتيوب يتحدث باللهجة السودانية التي يمكن وصفها بالسودانية البيضاء ، ورغم ذلك جاءته تعليقات تقول إن كلامه غير مفهوم! والحقيقة أن كلامه كان واضحاً جداً ، مما يعني أن هناك (قناعة مسبقة) لدى البعض، أشبه بإيديولوجيا ذهنية جاهزة: أول ما يسمعون لهجة خليجية أو بعض اللهجات العربية الأخرى يعلّقون مباشرة (ما فهمنا!) أو يقلّدون بعض المفردات بأسلوب ساخر ، وهذه ليست مشكلة في اللهجة بقدر ما هي مشكلة في التوقّع ! ولكن الشاب رفض التخلي عن لهجته، وطلب ممن يجدون صعوبة في فهمها أن يتحلّوا بقليل من الصبر إذا كانوا مهتمين بمحتواه ، ومع مرور الوقت، اختفت طلبات تغيير اللهجة تماماً ، وتوجه التركيز على المحتوى ، بل وتعرّف عدد من الجنسيات المختلفة على مفردات سودانية ، يستعملونها في التعليقات من باب الود والمزاح أو الثناء على مفردات لمس بعضهم فيها لطف أو رقة أو شيئاً جديداً ناسب مزاجه السمعي ، وهذا طبيعي جدًا: الأذن تتعوّد مع التكرار.

ولهذا، ربما يكون المطلوب اليوم هو الإكثار من استخدام اللهجة السعودية في الإعلام والحوارات والبرامج، وحساباتنا الشخصية في شبكات التواصل ،بدل اللجوء للفصحى باعتبارها (اللغة المفهومة عربياً) ، كل شعب يتحدث لهجته، ويحافظ عليها، ويقدّم نفسه بها، ويتوقع من الآخرين أن يتعودوا عليها إذا كانوا مهتمين بالمحتوى ، واليوم نحتاج للعامية أكثر من الزمن الماضي بسبب التغير الذي نعيشه ، وبسبب دور الذكاء الاصطناعي الذي تسعى كثير من الدول لتغذيته بلهجاتها حيث تعتبر هي أحد صور التواجد والانتشار والتعرف والتقارب ، الصوت الحقيقي ، المحكي، المباشر، الحي ، هو أحد الصور التي تمثل المجتمعات .

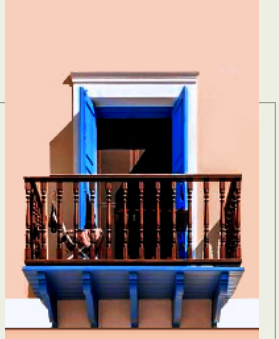

نقاشات

البذرة السردية والشبح المتحرك في النص..

تغذية أشباح الراوي.

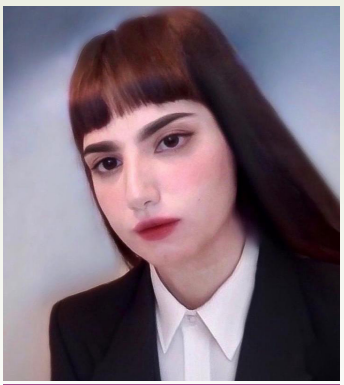

مريم المساوي*

يتقدم مفهوم الشبح الأدبي داخل الحقول النقدية ككيان يتكون من طبقة لغوية تتجاوز حدود الإدراك المباشر، فهو عالم بطبقات متعددة تتحرك في منطقة تتداخل فيها الذاكرة , الصوت, والصورة ,

ينشأ هذا الكيان من أثر يتركه النص في الفجوة بين الاستحضار والعبارة السردية ، ويعمل كقوة خفية تعيد تشكيل العلاقة بين الراوي والزمن وبين القارئ والمشهد الداخلي.

تتغذى الأشباح التي ترافق الراوي من كل نقطة يتقاطع فيها الشعور مع الحكاية، ومن كل لحظة يترك فيها الكاتب مسافة مفتوحة تنتج احتمالات جديدة وتوسع مجال القراءة , بنية الشبح تتشكل من مادة حسية تتداخل مع التجربة الذهنية فينشأ حضور يتردد في العمق الداخلي للفكرة ويقود اللغة نحو مستويات تمتد خلف الخطاب الظاهر , فعندما تتحرك هذه البنية داخل النص كأنها مجال يتسع مع كل إشارة رمزية، ويستقبل طاقة تنشأ من الجملة المتوترة و المموهة ، ومن اللمعة الصغيرة التي تمر في المشهد، و الذاكرة التي تعود عبر أثر مرتد بين الشكل وظله .

و يتحول مفهوم الشبح في هذا السياق إلى مدخل نقدي يمنح القراءة قدرة على كشف الحركات الدقيقة داخل السرد، ويفتح الطريق نحو تحليل يتعامل مع النص كمنظومة تتكون من أصوات متعددة تتجاور داخل بناء واحد. يمتد هذا الحضور داخل العمل الأدبي حتى يتحول إلى طبقة تواصلية تشارك في تشكيل إدراك القارئ، تعمل على تعميق التجربة الجمالية من خلال أثر يتنامى فوق سطح اللغة ويتحرك في جذورها معاً,

ومن هذا الامتداد تنشأ رؤية تسمح بدراسة الراوي وأشباحه عبر مستويات تتجاوز الوصف الخارجي، وتدخل في عمق البنية التي تنتج الأشباح الروائية من الذاكرة والخيال والإيقاع .

حين نفصل ونشرح مفهوم التغذية الشبحية للراوي فهي تتجلى من محاور أساسية تعمل مثل قانون فكري خلاق غير مقيد لكنه مركز جداً , تتغذى الأشباح التي ترافق الراوي من كل نقطة يتقاطع فيها الشعور مع الحكاية،

ومن لحظة يترك فيها الكاتب مسافة مفتوحة تنتج احتمالات جديدة , فهي بادئ ذي بدء تبدأ عملية التغذية من اللغة , حيث يستمد الشبح قوته من الإيقاع المتراكم داخل الجملة، ومن وزن المفردات وحركة الجملة من الداخل , و كل تكرار وصمت و انتقال من صورة إلى أخرى يولد طاقة تدفع هذا الكائن نحو النمو و تتحول اللغة إلى مجال ينبض بمستويات متعددة من الخلق الواعي فينشأ الراوي نظاماً يتحرك داخل النص ويتفاعل مع كل التفاتة سردية.

وحين تتصل اللغة تتغذى الأشباح من الذاكرة المعرفية, تنشأ الذاكرة في هذا السياق كحقل واسع يمد الراوي بإشارات مستمرة و بعض هذه الإشارات يأتي من تجربة الكاتب، والبعض الأخر يأتي من خبرات القارئ فتتشكل داخل النص نفسه ,

فتتجمع هذه الإشارات في نقطة تأسيسية تتفرع منها أصوات جديدة يتولد منها شبح قادر على حمل التجربة من الداخل ورفعها إلى مستوى تأويلي يتجاوز اللحظة المباشرة.

ومن ثم تتغذى الأشباح من تفاصيل العالم الروائي, حين يتولد الشبح من حركة الضوء داخل المشهد، ومن شكل الغرفة، ومن خطوات الشخصية، ومن الوجوه التي مرت سريعا ثم اختفت , تتجمع هذه العناصر في ذهن الراوي فتنتج مشهداً داخلياً أكثر اتساعاً من المشهد الخارجي , و يتحول هذا التوسع إلى طاقة معرفية تمنح النص قدرة على إنتاج مستويات سردية متعددة تتحرك في اتجاهات متوازية.

فعندها يستمد الراوي طاقته من الظلال التي يرسمها الشبح حول الحدث, تنشأ هذه الظلال من روابط دقيقة بين الشعور الفردي والبيئة السردية,و يتكون من خلالها مجال يسمح لأشباح الراوي

بالعمل كمنظومة معرفية واسعة , تتجه هذه المنظومة نحو تحويل السرد إلى مشهد ذهني يتداخل فيه الزمان والمكان والحالة النفسية ويتحول الشبح إلى بنية تراقب الشخصيات من داخل نفسها

وتفسر العالم من زوايا متغيرة، فتنتج قراءة مركبة تتجاوز الحدث وتعيد تشكيله مرة بعد أخرى.

القارئ جزء مساهم ضخم في توليد الشبح للراوي , تساهم علاقة القارئ بالنص في تغذية هذه الأشباح, يتشكل الشبح داخل ذهن القارئ حين يواجه مشهداً مشعاً في وجوديته أو جملة مشبعة بطاقة شعورية عالية , فيتفاعل القارئ مع النص وينشأ مجال جديد يضيف للراوي طبقة إضافية,تتشكل هذه الطبقة من التأمل الشخصي، ومن الذكريات التي يستدعيها القارئ ومن خبرات بعيدة تستيقظ عند القراءة,

منهـا يتحول هـذا التفاعل إلـى محرك يعمـق حضور الراوي ويرفـع النص إلى مستوى نقدي واسع.

تغتني أشـباح الراوي من طبيعة السـرد نفسـه حين ينفتح السـرد علـى حركة داخليـة عميقـة، لتنشـأ داخـل الجملة مسـارات صغيـرة تتفـرع مـن بعضها , هـذه المسـارات تتجه نحو بنـاء رؤية تتجاوز حـدود الحكاية وينتج عنها وعي سردي يملك القدرة على تحليل التجربة الإنسـانية مـن خـلال تراكـب المحاور المسـاهمة والملهمـة , وكل طبقـة تضيف للراوي قوة جديدة وتجعله كائناً قادرا على التحول والتجدد.

تتكاثـر أشـباح الـراوي فـي النصوص التي اتسـعت فيها اللغة كإشارات تبين الرواية والشعر والسينما ، وتتقدم هذه الإشارات في أعمال دوستويفسكي حين يتحـرك (راسـكولنيكوف) داخل صوته المجهـد ويترك في كل خطوة أثراً يولد شبحا يتابع اضطرابه،

ثم تنتقل هذه الحركة إلى عالم فرجينيا وولـف حيـث يعلو صـوت سـاعة بيق بـن فـوق المدينة ويقود التجسـد نحو مسـافة تتجمع فيها تداعيات (كلاريسا وسـيبتيموس) ، وتتوسـع الأشباح في القرية البعيدة عند ماركيز.

حين يتكرر الاسـم ويتحـول الزمن إلى دائرة تخلق ظـلالًا جديدة أمام كل جيل مـن عائلـة بوينديـا، ثـم تنشـأ طبقة أخرى فـي القاهرة القديمـة عند نجيب محفوظ عندمـا تتردد خطوات السـيد أحمد عبدالجواد داخل البيت فيرتفع من صمت الأزقة شبح

يتابـع العائلة ويضـيء المناطق الخفية فـي علاقتها بالعالم، الأشـباح تشـكل خريطتها وتتحرك نحو شـمال السودان عند الطيب صالـح حين تخرج من غرفة مصطفى سعيد وثقل كتبه وتنفتح على التجرد المزدوج الذي يتقدم داخل رأس الراوي،

لم يخل الشـعر مـن اشـباحه الروائية , فالشعر يتغذى الشبح من لمعان الفرس عند امرؤ القيس ومن الإيقاع المشدود عنـد المتنبي ومن صورة الضوء الحزين فـي دفاتر ريلكـه ومن طريـق المنفى الذي يتردد في قصائد محمود درويش، ويستمر الامتداد في السـينما الشعرية الروائية حين تنشـأ الأشـباح من زاوية الكاميرا عنـد بيرغمان ومن بطء الزمن عند تاركوفسـكي ومـن تداخل الصوت مع الصورة عند نولان ومن حدة الجسد عند مارلون براندو، وتعمل هذه الأمثلة على تشـكيل مجـال واحـد يتغذى من الطاقـة التـي تجمـع الذاكـرة بالصوت والمشهد والخيال، فيتسع حضور الشبح ويكتسـب قوة تتيح للـراوي أن يتحول إلى كائن يتحرك بين الأجناس كلها،

ويعيد ترتيب العلاقة بين الفكر واللغة والمشهد، ويمنح النص قدرة على إنتاج مسـتويات جديدة بين الحركة والصمت والشعور .

يشـكل هذا الاتجاه نقطة أساسـية في النقـد الحديث،تتجه الدراسـات الحديثة نحو اعتبار الشبح الأدبي مستوى معرفي مسـتقل يعمـل داخـل النـص ويعيد تشـكيل العلاقـة بين القـارئ والراوي، ويتقـدم هـذا الاتجـاه فـي النظريـات التي تـدرس الصوت الداخلـي والطبقة المتخفية،

يتعامـل مـع الشـبح كأثر يتكـون من تراكمـات لغوية تنشـأ داخـل الفجوات وتتحـرك في المسـاحات التـي تتركها الجملة، وتتوسـع هذه الرؤية في النقد السردي المعاصر من خلال التركيز على البنيـة التي تنتج الأصـوات المتجاورة، وتمنـح النص قـدرة على بناء تشـكيل متعـدد يعمـل ضمـن مجموعـة مـن المسارات التي تخلق من الذاكرة والرمز والإيقـاع، يعتمـد هـذا المنظـور على قـراءة تتعامل مع الراوي على انه نقطة مركزية يتسع مع حركة المشهد ويتحول إلى شـبكة مـن الطاقـات التـي تدفع السرد نحو عمق يتجاوز الخطاب المباشـر، ويتقدم هـذا الطرح فـي تحليـلات السـيميائيات والأنثروبولوجيـا الأدبية وعلم النفـس النقدي، الـذي يتحول الشـبح فيه إلى هيـكل تأويلي يسـمح بفهـم العلاقـة بيـن اللغة والوعي الروائي ،

ويكشف الطبقات التي تنتجها التجربة الشعورية داخل النص فينتقـل الشـبح مـن كونـه أثراً بسـيطاً إلى كونـه محركاً للوجودية المخلوفة .

وجود هذه الأشـباح يشير إلى قـدرة النـص على بنـاء وعي سـردي مسـتقل عن المؤلف، ويتحول الراوي عندها إلى كائن ينمـو مـن تلقـاء ذاته,يعتمد هذا النمو على تغذية مستمرة من الرمـوز، وتراكـم الإيقاع، وتشـكيل المسـاحة العميقـة التي يعمـل فيها النص كحقل معرفـي واسـع يتجاوز الحدث ويسـمح للـراوي بأن يتحـرك ككيان حـي داخل العمل الأدبي.

تسـتمر عمليـة التغذية مـع كل قراءة جديـدة يكتسـب الـراوي حيـاة ممتدة تتشكل من إعادة التأويل، ومن الطاقة الشـعورية التـي يرسـلها القـارئ نحو العمـل، ومـن الإضافات التـي يخلقها الخيال أثناء مواجهة النص ,

فتتحول هذه الحيوية الشـبحية إلى جزء من بنية الأدب الحديث، وتصبح أشـباح الراوي عنصرا أساسيا في تحليل العلاقة بين اللغة والإستحضار والحركة الوجوية بأشكالها المختلفة.

*كاتبة ومترجمة. الرياض

اللوحة للفنان Dror Cohen

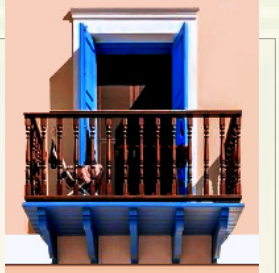

شرفة الإبداع

"قلب أبو سليمان وقّادي*".

إبراهيم الحسين

إلى الصديق / نشمي مهنا

ذهبوا في استدارةِ الدّفوفِ، كانوا مُتعجّلين عندما وَلَجوا قاموسَها، ذهبوا في استدارةِ الدفوفِ وفي خرائِطِها، أَدِلّاؤهم حَناجرُ وسُوقٌ ولَوْعاتٌ،
ذهبوا في الجِلد مِنها، وفي الأصابع وفي لُغْتِهم الأُخرى..
ذهبوا إلى ما لا يُدرك مِن الدفوفِ وليس له اسمٌ، ولِكَيْ يَقتربوا مِنهُ ذهبوا ورَقصُوا مُستَجيرين بِتَوتّرِ لَهبِ الدفوف واسْتِطالتِهِ، مَيْلُهم وتأَوُّدهم لَم يكنْ عبثاً، كانوا يبْحَثونَ في الأرض وفي الهواءِ والنّبراتِ عن أثرٍ يَتقصّونَ فيهِ مَنابِعَهُم الصّافيةَ، هم الذين صَدَّقوا فَرْوَ الدفوف حين تَرفعُ الأخطامَ، ومِن أوّلِ قوائِمها ومِن أقْصى عُزلاتِها تَصْدحُ وتُبْرئُ الوَحِيدينَ بالوَجيب والعَليلينَ بِالمَوجِ وبِالاسْتِدارةِ.

*أغنية سامري مشهورة، من حايل.

22سبتمبر 2025

اتّساعُ يديكَ

إلى الصديق الفنان إبراهيم الحساوي

مَضى زمنٌ لِنصلَ إلى هذا البياضِ الوعرِ، كنتُ أحسِبُهُ بِالأوراقِ وبِما اِختَفى مِن الوجوهِ جَرَّاءَ سَرقاتٍ فادحةٍ، يَقْطرُ مِن غِياباتٍ كانت دائماً على وشَكِ التّفلُّعِ والهَوِيِّ، وكنتُ أقرأُ بِحذرٍ مَسافتَها مُتفادِياً حَوافَّها الصّلبةَ،

مضَى اِحتِدامُ القليلةِ حِيلَتُهم يُنفِقونَ وُسْعَهم لِيَصلوا إلى اِتّساعِ يديك، تُجازفُ وتُريد أنْ تَحملَ صُروفَ اللغةِ كُلَّها، تُمسكُها مِن أطْرافِها وتَرفعُها، لا تُريدها أنْ تَقعَ في دُكْنةِ المُستَنقَعاتِ، ولا تُريد أنْ نَتأخّرَ عن مَوَاعيدَ ضَربْناها لِلابتسامِ قَريباً مِن الفناجِين، وأكثرَ قُرباً مِن إيماءاتٍ هي نحنُ عندما تكونُ أشجارُنا المُنشَغلةُ بِكتابةِ الحفيفِ قد خَرجتْ مِن أحاديثِنا أُغنياتٍ خضراءَ، تَعلَمُ أنّ التّلفُّتَ ليسَ من أدواتِنا، و ليس ما يَطْرأُ على الطاولاتِ من اِرتجافٍ أو اِشتِدادِ لَمعانٍ مِمّا يُكترَث له فقد اِعْتَدنا مِنها ذلكَ، كلما اِحتَكّت اليدُ بِاليدِ أو ألْقتْ بِنا المصادفةُ في عِناقٍ، فالذينَ ضَربهُم التّيهُ، لن يصعب عليهم اِتّباعُ سَنَا الأرواحِ والتحليقُ حَولنا، مَضى ما يُمكنُ أنْ نُسمِّيهِ بُكاءً، قَبلَ أنْ تُحِدّ نظرتَكَ هذهِ عازِماً أنْ تُحدِثَ بِها شُقوقاً في حُجُبِ لَيلٍ طال، وتَأتي بِها على ما يُمكنُ أنْ يكونَ عُشباً ضارّاً، دَعْ عنكَ فقدْ مضى اِنتظارٌ طويلٌ وها هو يَمضي، قبل أنْ أُلمِّعَ نُحاسَ حُنجُرتي وأقطعَ شَوطاً طويلاً فيهِ، عابراً مِياهي الأكْثَر صَفاءً والتي كثيراً ما تَجعلُني قُبالَتكَ، أنْصب هذي الحنجرةَ فَوقَ أعلى جُنونٍ في اللغةِ وفي الحنينِ وأُناديكَ:

تعالَ

دَعْ أصابعكَ تَرعى الهواءَ وترعى عُشبَ الأحلامِ، وتَعال تعالَ،ثمَّة قصيدةٌ على مَرْمى قلبٍ، بِإمكانِنا الاخْتِباءُ فيها والغناءُ. فَبِغيرِ ذلكَ لَنْ نَنجو؛ تَعالَ قبلَ أنْ يَلْتقِمنا هذا الزّمنُ الذي يمضي ويَجري نَحوَنا..

تَعالَ وَأَطِعْني أَطِعنِي.

الكويت - 26 نوفمبر 2025

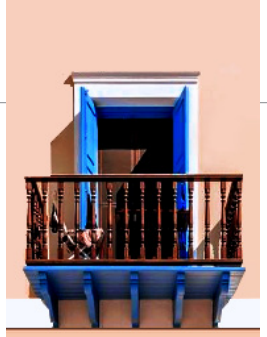

شرفة الإبداع

كُحل الفجر .

مهدي محسن*

قبل أن تنتفخ صدور الديكة. نُطير الملاءات. ركضُنا يشق الزقاق. الغَمَصُ لم يذهب بعدُ. نرمي سفننا في السواقي النائمة، فيسيح كُحل الأحلام.. بين النخيل.

تنتظر عِصيُّنا. البهائم. تنتظر زعيقنا كهوف الجبل وسفوحه. ينتظرنا خبز التنور المحمرُّ. وحليب الزعفران.. في الفجر.

من فحم القدور الكبيرة، في الأعراس، المآتم. تلوَّنت وجوهنا. خلقنا بالفحم حكاياتنا على جدران الطين. وأسماء الأمهات المحرَّمة.

دققنا أجراس البيوت وطاردتنا اللعناتُ. طاردنا نعال الأم طوال حياتنا. طاردتنا غترة الأب.. الهائل، ومشموم الجدَّة. وأخافتنا أسنانها. وعينها البيضاء. طاردتنا يد الجد. قبل أن يجلس. قبل أن.. ترتجف يده. قبل أن يتضاءل. الجد. لا الزمن.

كانت الأبواب زجاجية، ملونة. الشبابيك خشبية. قصار سور عبدالباسط، تطير من الشبابيك. من تلك الشبابيك طاردتنا المآتم. طاردتنا بحَّة حمزة الزغيَّر"يمَّه ذكريني"وحسرات

"ابن فايز" ونهنهة الأم وهي في سكرة الطبيخ. أكلنا ما اختلط بدموعهنَّ وبحَّة مآتمهنَّ الأزلية. المآتم لبان الأمهات، وزينتهنَّ.

خبزتنا الأمهات مع خبزهن، وأدرننا تحت مطاحنهن.

أمهاتنا.. النادبات، المتلفعات بالسواد. يعُدن بمشمومهن من الفواتح والمآتم، الأولاد لا يذهبون للفواتح، الفواتح للطَّامات الحزانى، لعاشقات الدموع.

-لم تعد الأمهات

يُجِدن

لعبة

إيجاد الأشياء.

صرنا نرمي

الأشياء

قربهنَّ

ونندهش.. لرؤيتها.

في تلك الأيام، توجَّعنا.. توجَّعنا، بما فعلناه في البهائم، لا بما فعلنا في جدائل الفتيات. شددنا جدائلهن، وعلى دراريعهن رمينا الفزع وهربنا. لم نهرب بعيدًا، كان انتقامهنَّ قاسيًا ومُذلًا.

تلك الأيام، انفطرت القلوب وشهقت الأعين. تلك الجدائل التي حُرِّمت علينا، التي زينها الياسمين وكبُرت.

تلك الأيام، فرَّخت أيامها فينا وصارت أيامًا كثيرة، صرنا أيامًا تتقاذفها الفناجين.

*شاعر سعودي من المنطقة الشرقية.

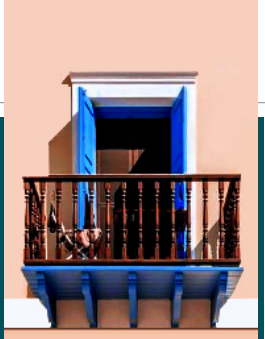

شرفة المواهب

في زيارة خاطفة للصديق محمود الحسين وجدت هذه القصة الفاتنة لتؤكد لي أن الموهبة تشع من وقت مبكر، والابن عمر الحسين ذو كثافة قرائية رغم صغر سنه،
وبحسه الفنى وقف على معضلة الهجر، والوصل في القراءة والكتابة معا.
القصة أعمق من هذا الترحيب بموهبة قادمة.

عبده خال.

قصة

فصّول يساعد عمر.

عمر محمود الحسين

يحكى أنه كان هناك فاصل كتاب يدعى فصّول، وكان فصّول يشعرُ بالملل لأن عمر يتركه وحيداً بين أوراق الكتب، لكن في أحد الأيام خطرت لفصّول فكرة.
وفي اليوم ذاته نفّذ خُطّته، فعندما انتهى عمر من قراءة كتاب، وضع فصّول بين الصفحتين التي وصل اليها، بدأ فصّول القراءة بنفسه وشعَرَ أنه سعيدٌ جدا لأنه يقرأ ويتعلّم، لم يعد فصّول يشعرُ بالملل، بل صارت الكتب أعزُّ أصدقائه، وصار كلما وضعهُ عمر في كتابٍ جديد يشعرُ أن لديه صديقاً جديداً.
وفي يوم ميلاد عمر قامت أمه بإهدائه هاتفاً جديداً، صار الهاتف هو صديق عمر الجديد وصار لا يهتمُّ كثيراً بالقراءة، حزن فصّول، فمع انشغال عمر بالهاتف صار لا يراهُ أبداً، وصار فصول بين صفحات كتاب واحد لا يقرأ غيره، فكّر فصّول وفكّر، الى أن خطرت برأسه حيلةً جديدة يعيد بها عمر الى قراءة الكتب، خاصة بعدما رأى فصّول كم هي ممتعة ومفيدة.
عندما ذهب عمر الى الغداء، أخذ فصّول هاتفه وخبّأه تحت الوسادة، ووضع مكان الهاتف كتاباً جديدا، عاد عمر ولم يجد الهاتف، سأل عائلته، وبحث في أدراج مكتبته وتحت سريره لكن دون جدوى، جلس عمر على سريره وهو يشعر بالملل واليأس، لكنه رأى الكتاب الجديد الذي لا يزالُ عليه ورق التغليف، قلّب عمر الكتاب بيديه، سأل عائلته عن الكتاب، لكن الجميع قالوا أنهم لم يروهُ من قبل، وضع عمر الكتاب في مكانه لكنّ فضولهُ وحُبه للقراءة جعلاه يفتح الغلاف برفق ويبدأ بالقراءة.
شعر فصّول بالسعادة أن صديقه القديم عاد اليه، صار عمر يقرأ ويترك فصّول بين الصفحات ليقرأ هو أيضاً ولم يعُد عمر يهتمُّ بالهاتف.

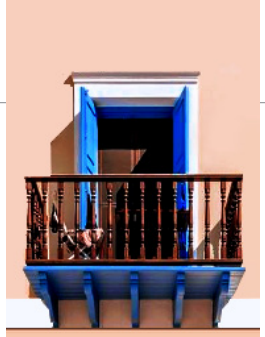

شرفة الإبداع

لا أجرؤ على إبطال مفعول الوسواس..!

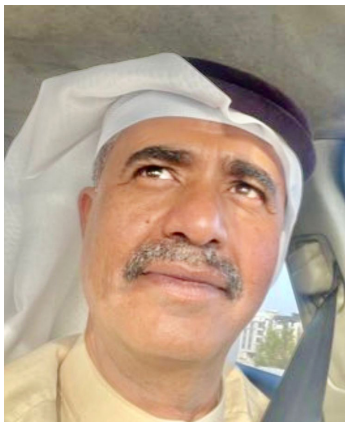

عمر بوقاسم

في الممر الأبيض الطويل للطابق الأرضي من المستشفى والمؤدي لباب الخروج
والدخول... شاهدت شخصا يدخل من الباب، شخصا لا أعرفه،
حدقت إليه حتى تجاوزته، ألتفت للخلف أكملت التحديق إلى الشخص الذي لا أعرفه
حتى غاب في أول منعطف يُخرجه من الممر الأبيض الطويل...
خرجت من الباب وغبت أنا أيضا..!
بعد عام، عام كامل، 2024م، عام دارت فيه الكرة الأرضية حول نفسها ثلاثمائة وخمسة وستون مرة، شهد العالم أحداثا كبرى، في السعودية انجازات في مجال الهيدروجين الأخضر والطاقة الشمسية والسعي لتحقيق الحياد الصفري عام 2060م،
سقوط حكومة بشار الأسد وهروبه، انتخابات في أكثر من ستين دولة حول العالم،
استمرار الحرب في غزة وخسائر بشرية كبيرة، جماعة الحوثي تواصل هجما تها
على السفن التجارية في البحر الأحمر، اكتشاف حصى في كليتي أجريت ثمانية
جلسات ليزر لتفتيتها، الطبيعة تكشر عن أنيابها، تضرب بالزلازل والأعاصير والفيضانات وحرائق الغابات في مناطق مختلفة من هذه الكرة الأرضية التي تدور
حول نفسها في العام الواحد، ثلاثمائة وخمسة وستون مرة..!،
كتبت مجموعة من ا لنصو ص ،
وضعت لايك لبعض التغريدات على منصة X،
قرأت عدد من الكتب وأيضا بعت عدد من الكتب لمكتبة لشراء وبيع الكتب
المستعملة، "نبيع ونشتري الكتب المستعملة" هذه العبارة تتصدر واجهة المكتبة،
تضحكني عبارة الكتب المستعملة..!،
نعم، تضحكني، أحيانا، أحتاج أن يكون منسوب السخرية أكثر من التشاؤم حتى يحق لي أن أنتقد..!،
الساعات تجري سريعا،
الأيام تجري سريعا،
الشهور تجري سريعا،
شعور شائع بين الناس أن الزمن أصبح أسرع وأننا نعيش في نهايته..!،
الجميع يعاني من هذا الوسواس،
ولست مضطرا لعمل استبيان لجمع الآراء..!،
وليس لدي الوقت الكافي لتحليل هذا الشعور..،

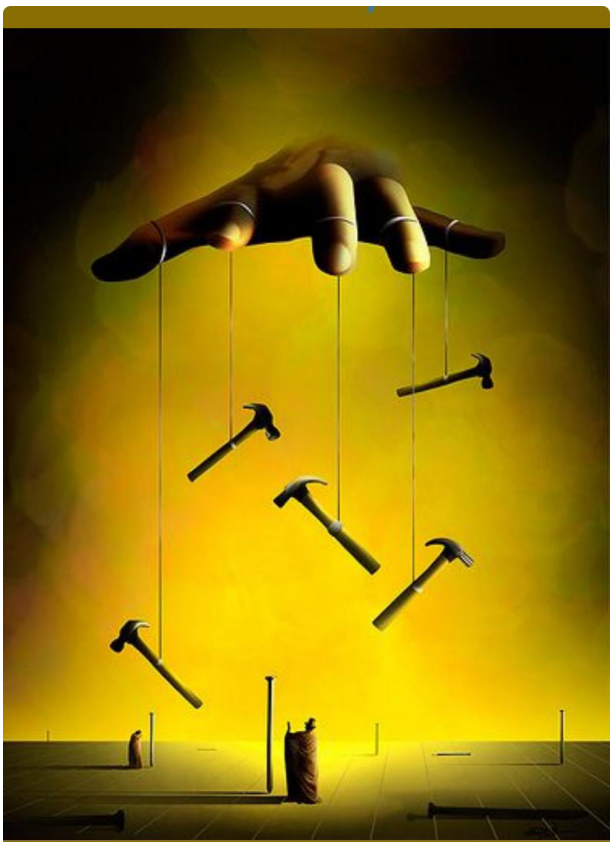

ماذا لو قلت أن الوجبات السريعة سبب بقائنا على قيد الحياة..؟!،
إنها تلاءم هذا الزمن السريع..!، نعم، تلاءم هذا الزمن الهارب السريع، السريع، السريع...
مازلت حريصا على البسملة قبل أن أتناول وجبتي السريعة،
هكذا أكون مطمئنا أن الشيطان وغير الشيطان لا أحد يشاركني وجبتي السريعة المباركة...
عام كامل مر مرور الكرام...
يطل علينا عام 2025م،
تقص شريطه ليلى عبداللطيف بنبواتها التي تقرأها بثقة العرافة
صاحبة الكرة السحرية البلورية التي تستشرف أحداث المستقبل لعالمنا,,!،
لكنها لم تذكر عني شيئا،
... ربما نبوتها لا تشمل كل مخلوقات الله الذين يعيشون في الكرة الأرضية التي
تدور حول نفسها ثلاثمائة وخمسة وستون مرة في العام الواحد...
نعم، لم تذكر
عني شيئا،
الزمن يكرر نفسه بالمقلوب..!،
فجأة أجد نفسي، فردا نشطا في لعبة مصيرية،
لعبة تبادل الأدوار...!،
أنا الآن في الممر الأبيض الطويل للطابق الأرضي من المستشفى، شا هد ت
الشخص الذي لا أعرفه يتجه للخروج من الباب الذي دخلت منه، كان يحدق إليّ
حتى تجاوزني، حتما، ألتفت خلفه وأكمل تحديقه إليّ حتى غبت في أول منعطف
أخرجني من الممر الأبيض الطويل...
خرج من الباب وغاب هو أيضا..!

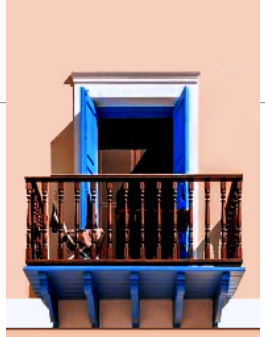

ما يشبه البيت

الشخص السكن.

نجوى العتيبي

مـن بين خيالات الطفولة الكثيرة؛ ما زالت أسـطورة الصداقة تحظى بمكانتها الأثيرة لدي. ولعلي أبتسـم حين أتذكر ما دار حول مكان سـكن الأصدقاء في مخيلتي وجدالاتي وتوسلاتي، وكيف تكون كل أرض تطأها قدما صديقٍ بيتًا ومسكنا؛ فبيتُ الصديق وطنٌ خاص، يقدم بنفسـه فـروض الولاء والطاعة، المسـتقبل بإزائـه أبـدا، والحاضـر يشـد علـى يديـه دومًا، والضريبة: حبٌّ صافٍ.

ولطالمـا كانت أمنيتي أن أنـام في تلك البيـوت التي أحببتُ أهلهـا؛ فقد كنـتُ أرى أمكنـة الأصدقاء جنـة لا تنقطع فيها الضحكات، لا يلفها الليل ولا تهدأ فيها الأحاديث؛ فالبعيد مغرٍ دائمـا، والقريب مزهود به، والعمى هنـا ليس قدرا البتة، بل يصير أداة اختيارية فوضوية

حين يبدأ أحدنا بالاسترسال حـول أمانـه الخـاص وأين يقـع، وقد كنتُ أشـير على بيـوت صداقاتي إذ وجدتها أجمل مكان في الحياة؛ فما يمـسّ الصديـق يفلت من كل قيد ونقد، ولاسيما حين يكـون البيت مليئـا بالقيود التـي تُـرى ولا تُـرى، حتـى يكبر أحدنا ويؤسـس مثلها بقـدر مـا اعتـرض وقاوم، فنتـوارث قيـودا لا نهائية، نسـلّمها لأجيـال نوصيهـا علـى مـا اخترنـاه وقررناه سـلفا، وتنتقـل معنا عقدة الأصدقاء الذيـن لا يحدّهم مـا يفيهم حقهـم، من كنا نصـرخ بالعالم ليشـهد ما نـراه فيهـم، حتى يتوسَّـل أطفالنا كما توسـلنا أهلينا، يخاطبوننـا بمـا كنـا نـراه قديما، يلحّون على الصديق وبيت الصديق، وكيف تكون الجنـة أرضيّـةً مـن وطـأة قدميـهِ فقـط... وربما نصادر حقهم، ونفـرض عليهم ما لنا من الأصدقاء! لعل هذا ما يحدث كثيرا...

لكن الخيبة حظّ كبير هنـا، والإيمان يدفعها، ننحاز للمفهوم لأن الصداقة روح، ليست علاقة دم ولا شهوة أو فكرة، ليست متعـة لحظيـة ولا تجربة نفعية، بـل هي روح محضـة، مرآة تفاعليّـة، وأيـادٍ لا تنقبض عنا ولا في وجوهنا، ونسـعى لئلا تعرفَ التلويحة وداعا، فرحيلُ الأصدقاء باب رئيسـي مضروب في وجوهنا، وعلينا اكتشاف باب آخر للحياة من بعد خيبتنا به. يطوّقنـي اقتبـاسٌ مسّـني عـن أرقٌّ وأقسـى ما قـد يعتري التلويحة؛ تلك الإيماءة التي أعجز عن رصد معانيها لتشعبها... يقـول غيورغي غوسـبودينوف عن التلويحـة التي قامت بها إحدى الشـخصيات: «لقد حذرتـكِ، لا يمكنك التدخل في حياة الآخريـن حتى وإن كان ذلـك بمجرد التلويح لهـم بيدكِ من النافـذة. أحيانا ومـن دون قصد قد تتسـببين بتغيير مجرى حياتهم وأقدارهم».

هـذا هو أثـر التلويحة، قد يكون كأثر الفراشـة؛ فلم أفهمها مجـرد تلويحـة، ولا مصيبة أو كارثة؛ بـل يمكن أن تكون في كثير من الأحيان عقْدَ صداقة سـاري المفعول من نظرة أولى وحركة طارئة، هذا سـحر البدء، وأسـطورية قصـة الصداقة، حين يتفق اثنان فجأة كأن الزمن لوَّح لهما أن ابدآ صداقتكما، فتبدأ القصة بخفة وسهولة.

أذكُـرُ ألـفَ صداقـة بـدأت هكذا بوجه بريء، ونسـيتُ مثلهـا ألفًا انقضت سـريعا بما للتلويحة من عمر وبقاء ضئيل... وأذكر خيبات أخرى جرحت قلبا وأدمت وطعنت، كمـا أذكر موقـف الصداقة منهـا حيـث كان الصديـق كل دواءٍ مخبَّـأ في صيدلية الحيـاة، أجـادَ دور الضمادة والكمـادة والجبيـرة، عقَّمَ الأذى وأخـاط الجروح ورقع القلـب مجددا بالحيـاة، ثم صمَتَ إلى الأبد كحجْر صحيّ لمواطـنَ أذى مسـتقبلية، أدَّى أدوار الأمهـات والآبـاء والإخوة والأحبة، ولم ينتظر تصفيقـا أو يتلقَّ أجـرًا، بل تـوارى كملاك حـارس في مسـرح أحـداث جـارٍ؛ لأن البطولة عقلٌ وبعد نظر في كثير مـن الأحيـان... وكم أغنى بصوته وحده عن بحار الأرض والغابـات والجبـال والسـماء وكائناتهـا لتكون الرحلةُ في تجـاوز الخيبات كاملةً، وحيث تكون الفسحة التي يهبها الأصحابُ لنا محاكاةً شعورية للجنة؛ فبأيِّ وجه تبقى الخيبة في ظلِّ صديق حقيقي؟

كل الخيبـات يرتقهـا الأصدقـاء جسـدا وروحا، مـن يبقون كالبيت منتظرا في مكانه، لا يحسـب أحدهم وقته ولا يختلس سـاعته متململا من انتظاراته، ولا يحمل أشـياءه ويرحل كما يفعل الآخـرون؛ حيث يبقى الصديق بيتًا بحقّ، موجودا مكانه يأوي ويحوي، فيبقى ثم يبقى وعلى وجه الحقيقة لا الخيال.

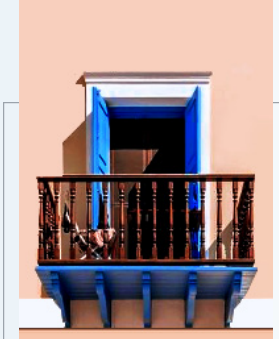

السرد البعيد

عندما كانت الحياة أبيض وأسود.

حسن النعمي

كنـتُ فـي المرحلة الثانويَّة عندما بـدأ النَّقل التلفزيوني في أبها عام ١٩٧٨م، كان الاستعداد لهذا الحدث يشوبه التَّرقب من مجهولٍ قادمٍ، وأسهم الوعَّاظ في وضع حواجز بين النَّاس وتطلعاتهم، فظلَّ الحديث همسًا بين الناس، من يجرؤ أن يشتري تلفزيونًا؟!!

ومن الَّذين غامروا بشرائه أبي الَّذي اصطحبني معه لنشتري جهازًا، رأيته يفاوض البائع بين السعر وحجم الشَّاشة، واستقرَّ الأمرعلى جهاز من شركة (سانيو) دون ألوان (أبيض وأسود)،

لا أنسى عندما وضعه أبي في مجلس الرجال، وغطَّته أمي بملاءةٍ بيضاء، كان الوقت صباحًا، والبث لا يبدأ إلا عند الخامسة عصرًا، ظلَّ التلفزيون صامتًا، ونحن نختلس النَّظر إليه من وقتٍ لآخر حتَّى فتح أبي الجهاز، وبدأت شارة التَّشغيل الموسيقيَّة، فالسَّلام الملكي، ثمَّ القرآن الكريم، ثمَّ أطلَّ المذيع يقرأ برامج اليوم، لا أستطيعُ أن أصف حجم الدَّهشة وعمقها؛ الَّتي لفَّت المكان في ذلك المساء.

لم يكن كلُّ الجيران قد اقتنوا جهازًا: إمَّا لكلفته، أو لتخوفٍ اجتماعي أو ديني، فقد نشط الوعَّاظ في تلك الفترة للتَّحذير من مفاسده، ونسبوا إليه كلَّ مصائب الدُّنيا، والمفارقة ألَّا أحد يمانع من المشاهدة، لكن ليس في بيته، بل في بيوت الجيران الَّذين تحمَّلوا تبعات النَّقد والتَّجريح.

ومن غرائب اللَّحظات أنَّ رجال الجيران كانوا يكثرونَ الحديث مع أبي، ويماشونه إلى بابِ البيت أثناء عودته من المسجدِ، لعلَّه يدعوهم لقضاء السَّهرة في بيتنا، ومؤكدٌ أنَّها دعوة مشاهدةٍ وعشاءٍ، وسلامةٍ من نقد المجتمع !!